جغرافية وأوضاع بلاد المغرب الإسلامي

المغرب الأوسط أنـموذجاً

د. مصطفى سمراني
مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط (الجزائر)
(جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله)

جغرافية وأوضاع بلاد المغرب الإسلامي

المغرب الأوسط أنـموذجاً

الجزء الأول

الشهاب الأكاديـمية

©منشوراتالشهاب، 2025.
الهاتف: 67 15 99 0555 / الفاكس: 04 72 84 023
www.chihab.com / fb : Chihab éditions
ISBN : 978-9961-63-060-0
الإيداع القانوني : مارس 2025

تــصديــر

شرفني الدكتور مصطفى سمراني بقراءة هذا الكتاب وتقديمه للقراء عامة وطلبة التاريخ على وجه الخصوص، وكنت ممتن لذلك إلا أنني تريثت قليلا في إبداء الرأي قبل أن أناقش الدكتور في بعض ما جاء فيه حتى يحقق العمل غايته ويكون عملا أكاديميا راقيا يفيد الدكتور مصطفى في مساره العلمي والعملي، لاشك أن تاريخ بلاد الغرب الإسلامي يحتاج الى بحث مستمر متواصل ويستحق جهدا كبيرا من الطلبة والباحثين في هذا المجال من أجل قراءة علمية للمادة التاريخية التي هي في الأصل مادة واحدة ولكن قراءتها تختلف من باحث إلى آخر ومن فترة إلى أخرى، وترتبط أحيانا بالميولات الفكرية والاتجاهات السياسية والعقائد الإيديولوجية طبيعة المدرسة التاريخية، وقبل أن أستمر في تقديم هذا الكتاب وبعد مناقشة مستفيضة مع صاحبه خاصة فيما يتعلق بالعنوان الرئيسي للكتاب كنت أود أن يكون مرتبطا بالمغرب الأوسط لأن كل المحتوى يرتبط بالمغرب الأوسط في حين أن العنوان هو المغرب الإسلامي، وهي ملاحظة لصاحب الكتاب الحرية في تبرير ذلك، والأمر ينطبق أيضا على فهرس الكتاب لأنه من الضروري أن يكون المحتوى مطابقا للفهرس حتى لا يكون هناك حشوا في، كما كان جديرا أن يكون الكتاب وفق منهجية واضحة من خلال وضع فصول أو أبواب، طبعا كل هذه الخيارات على الباحث أن يضع لها تبرير من خلال مقدمته التي يضعها في الكتاب، التي يكون له من خلالها الفرصة أن يقنع القارئ بطبيعة هذا الاختيار وطبيعة عمله.

قدم الكتاب في مقدمة وخاتمة بينهما محتويات مختلفة، حاول فيها أن يعرف بالمغرب الأوسط، من حيث المدلول اللغوي والاصطلاحي، ثم انتقل إلى التعريف بالمغرب الإسلامي وهنا من الضروري أن يتم الانتقال من الكل الجزء وليس العكس، كان من المفروض من وجهة نظري أن يعرف أولا بالمغرب الإسلامي ثم ينتقل إلى المغرب الأوسط.

انتقل بعدها الباحث إلى دراسة المغرب الأوسط في الفترة الزمنية التي أشار إليها (6-9هـ/12-15م)، حيث أشار إلى التركيبة البشرية لسكان المنطقة، ثم انتقل الى الجوانب الفكرية والسياسية والعسكرية، متطرقا أيضا إلى الظروف الاقتصادية خاصة في مجال الزراعة والصناعة والتجارة، حتى يبرز الأهمية الاقتصادية لهذه المنطقة كجسر للتواصل الثقافي والحضاري والاقتصادي بين جناحي المغرب الإسلامي من جهة، وبين المغرب الإسلامي والعالم الإسلامي في المشرق من جهة أخرى.

في الجزء الأخير من الكتاب استفاض الكاتب في دراسة المدونات الفقهية وكتب النوازل ودورها في التعريف ببلاد المغرب الأوسط، كما عرض الباحث الكثير من النوازل التي لها علاقة بالموضوع، وفي الأخير ضمن الباحث عمله بخاتمة أبرز من خلالها ابرز الملاحظات التي توصل إليها من خلال دراسته.

يبقى العمل في حقيقة الأمر جهدا يستحق الثناء ويشكر الباحث على هذه الالتفاتة الطيبة في دراسة تاريخ الغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط على وجه الخصوص، أملين ان يكون هذا الجهد فاتحة لمسار بحث علمي طويل وان يكون قاعدة يستفيد منها القارئ والباحث، على انه من الضروري الانتباه الى مجموع الملاحظات التي توجه له من طرف الباحثين والزملاء خاصة إذا كانت تلك الملاحظات ترقى بالعمل إلى ماهو اسمي وارقي في خدمة العلم والبحث والجامعة.

أمل أن تكون هذا القراءة السريعة لهذا العمل سليمة تخدم البحث ومرة أخرى أشكر الدكتور مصطفى سمراني على هذا التشريف متمنيا له كل التوفيق.

ا/د العربي بوبكر، جامعة يحى فارس - المدية

الجزائر في 24 فيفري 2025م.

مقدّمة

توجّهت الدراسات الأكاديمية التاريخية في الجامعة الجزائرية مؤخّرًا إلى الاهتمام بالتاريخ الوطني في بعديه الاجتماعي والاقتصادي، وبما يرتبط بهما من زخم تراثي ومادّي أصيل كان كامنا بين ثنايا المصادر المتنوعة، سواء المطبوعة منها أو المخطوطة، وتأتي كتب النوازل ومدوّنات الفقه والكتابات المنقبية كمصادر غير تقليدية في صلب دائرة اهتمام الباحثين المعاصرين لمّا سيعوّلون عليها في سدّ ثغرات التاريخ العام، فيما غاب فيه من تفاصيل في الحياة الاجتماعية للجماعات البشرية وتحرّكاتها المجالية، وفي تفاعلها وتدافعها ونزوع أفردها وقبائلها وفي استقرارها وعمارتها لأرض هذا الإقليم.

والكتابات النوازلية والمنقبية ومدونات الفقه ورغم عنايتها بالأجوبة والفتاوى إلاّ أنّها تتجاوز معطيات الفقه واختلافاته وقضايا أصوله وتفريعاته لتحمل بين ثناياها مادّة خبرية دقيقة ستعين الباحثين على إعادة بناء الواقعة التاريخية في وجهها المتكامل الأبعاد، وعلى إعادة تتبّع مختلف الظواهر الإنسانية لتظهر ملامح بنيات المجتمعات في سياقها التاريخي السابق، وكيف أفضت أحداثه إلى الواقع المعيش في محاولة لفهم الحاضر ومربكاته التي ترتبط بالثقافة والمجتمع والاقتصاد، وهي أحد أهمّ مهامّ المؤرخين والباحثين في علم التاريخ.

وضمن هذا المجال المفاهيمي توجّهت للبحث في جغرافية بلاد المغرب الإسلامي والأوضاع السائدة فيها في كتب المناقب والفقه والنوازل في النصف الثاني من العصر الوسيط وجاء موضوع بحثي بعنوان: **جغرافية وأوضاع بلاد المغرب الإسلامي : المغرب الأوسط أنموذجا.**

إشكالية البحث والدراسة

أكدت العديد من الدراسات والبحوث المعاصرة على أهمية كتب النوازل في كتابة التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي في المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الاوسط بصفة خاصة، هذا ما أردنا توضيحه في مقدمة هذا الكتاب.

والجوانب الحضارية هي إحدى القضايا والمسائل التي وردت في كتب النوازل التي عالجها الفقهاء في فتاويهم من جوانب عدة.

لذا جاء مشروع هذا البحث للوقوف على المجال الجغرافي والأوضاع الحضارية التي عرفها المغرب الأوسط خلال الفترة الممتدة بين القرن (06-09هـ/12-15م)، وتأثيراتها على مختلف مجالات الحياة لمجتمع المغرب الأوسط من خلال ما ورد في كتب النوازل الفقهية والنوازل.

فما هي الصورة التي تقدمها لنا هذه النوازل عن المجال الجغرافي والتاريخي والأوضاع الحضارية المطروحة في بلاد المغرب الإسلامي عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصةً خلال القرنين (06-09هـ/12-15م)؟

الإشكاليات الفرعية

وقد تفرّعت إشكاليته الأساس إلى إشكالات فرعية تتوافق مع مادّة البحث وتقسيمات وتفريعات فصوله نلخصها في الآتي ذكره:

- كيف ساهمت كتب الفقه والنوازل في التعريف بالتاريخ الاجتماعي وما يرتبط به من ظواهر طبيعية ومجتمعية كانت ستتجاوزها كتب التاريخ العام؟.

- ما مدى قيمة المادة الخبرية الموجودة في كتب النوازل ؟ وإلى أيّ مدى يمكن أن يعوّل عليها الباحثون في إعادة كتابة التاريخ الوطني في شقّ الاجتماعي؟

- ما هي الأوضاع التي مست إنسان وإقليم ومجال المغرب الأوسط؟ وهل استطاعت الكتابات النوازلية نقل وتصوير تفاعل بنيات المجتمع معها؟

- ما مدى ارتباط الأوضاع الاجتماعية في شقّها الصحي مع ما أفرزه من آثار يفترض أنها تكون مربكة للاستقرار المجتمعي بحالة التردّي والانكسار الحضاري العميق التي مست بلاد المغرب الأوسط والعالم الإسلامي نهاية الفترة الوسيطة؟

دوافع الموضوع

الخوض في غمارة البحث لهذا الموضوع من أجل الخروج عن دائرة البحث في التاريخ السياسي العام الذي عرف تشبّعا في البحث الأكاديمي في جامعاتنا، وتوجّه غالبية الباحثين إلى تناول مواضيعه لما أتيحت لهم مادته المصدرية بسهولة، فبقيت المواضيع التي تتعلّق

بفروع التاريخ الأخرى تراوح مكانها تنتظر الباحث الحاذق لإطراقها وسدّ ثغرات في تاريخنا الوطني في مختلف فتراته.

كما أنّ البحث في المواضيع الجديدة ومن مصادر غير تقليدية سيجعل البحث العلمي ذي جدوى كونه يحمل الجديد الذي يعطي دلالات تاريخية معينة تعين على إعادة تفسير ظواهر مجتمعية كانت إلى وقت قريب مبهمة ويعين البحث في هذا المجال كذلك على الاطلاع على ثقافات كيف نشأت وأفكار كيف انتقلت وتلاقحت، وعلى قيم مدنية وحضارية كيف تأسّست وكيف استقرّت أو تبدّلت.

أهداف الموضوع

لمّا حاولت البحث في إشكاليات الموضوع كانت تحضرني أهداف مرسومة تتعلّق أساسا بميدان البحث ومجاله الجغرافي المحدّد في فترته المبيّنة وتعلّقت الأهداف أساسا بما يلي:

– التعريف بكتب الفقه والنوازل كمادة مصدرية موازية لكتب التاريخ العام في تعريفها لنا بزوايا مهمّة من تاريخنا وتراثنا المادّي واللاّمادي.

– تشمل نصوص كتب النوازل مجالات وجوانب عديدة ومُهمّة، منها الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية، وهي مواضيع تحتل مكانة عالية وقيمة كبيرة في حياة المجتمعات المغاربية، لما تتضمنه من معلومات ونصوص قلّما يلتفت إليها المؤرخون والدارسون، وتتناولها المصادر التاريخية.

– البحث في فترات تأسيس ثقافة المجتمع وما واجهه من صعوبات أثّرت في واقعه الاجتماعي والاقتصادي والأمني وكيف تغلّب عليها وعن آليات مقاومته وتفاعله مع محيطه الطبيعي والبيئي.

– هناك إشارات عن الحياة الاجتماعية، المتعلقة بالأسرة ومظاهرها، كالزواج والطلاق واللّباس، والعادات والتقاليد الاجتماعية خلال العصر الوسيط...الخ.

– البحث عن مدى تواصل إنسان ومجتمع هذا الإقليم مع محيطه الإقليمي، في عمارته للأرض وفي تلاقح أفكاره وفي حمايته لمنظومته القيمية والروحية والدينية.

– إنّ البحث في التاريخ الاجتماعي والاقتصادي سيوفّر للباحثين المختصّين في الاقتصاد وقضايا المجتمع دراسات ورؤى تأريخية معمّقة، تعينهم على فهم نزوع الأفراد والجماعات والشعوب

وذهنياتهم، وأنماط عيشهم وتفكيرهم وتساعد هؤلاء الباحثين في مجالهم لفهم الواقع المجتمعي والاقتصادي، وتعينهم على رسم خريطة التنمية الصحيحة وعلى حماية وأمن المجتمع فكريا وثقافيا.

– إضافة إلى النظم الاقتصادية بمختلف جوانبها، كالزراعة والصناعة والحرف، والمبادلات التجارية، والجوانب الثقافية، كالتعليم ومراكزه، وأنظمته، والشخصيات العلمية البارزة في المجتمعات المغربية، وبعض معالم الحياة الدينية، ومختلف العلوم وغيرها من المظاهر المختلفة التي لا يتسع المجال هنا لذكرها.

– إنّ البحث في مجال المجتمع والاقتصاد والثقافة سيعوّل عليه في خلق نوع من الترابط بين العلوم الإنسانية والاجتماعية، وهي محاولة وإسهام في الرفع من جدواها في حلّ مشكلات ومعضلات معاصرة ترتبط بالمجتمع والثقافة والاقتصاد.

– إنّ إعادة كتابة تاريخنا الوطني في فتراته المتعاقبة وفي ميادينه المتعدّدة سيساهم في ربط الأمّة بتاريخها وقيمها التي ستستخدمها في حماية بنيتها الثقافية والدينية والحضارية لمواجهة تغوّلات العولمة وحرب التكتّلات الإقليمية والاستقطابات الدولية المعاصرة.

الدراسات السابقة

فقد اختصّت هذه الدّراسات بمعالجة وتقديم قضايا التجارة والنّقود والزراعة والفلاحة والأنشطة الحرفية والحياة العلمية والتربية والفتيا والأسرة والقبيلة، ولم تعالج موضوع وإشكالية بحثي في موضوع أو دراسة مستقلّة.

لاكن هناك مواضيع قريبة من موضوع البحث التي تتوفر فيما يلي:

– شتوان بلقاسم، الخطبة والزواج في الفقه المالكي، دار الفجر، قسنطينة، 2007.

– أربوح زهور، أوضاع المرأة بالغرب الإسلامي من خلال نوازل "المعيار للونشريسي"، دار الأمان للنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، 2013م.

– خطيني صابرة، فقهاء تلمسان والسلطة الزيانية، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.

– بشير عبد الرحمان، اليهود في المغرب العربي، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، دم،2001.

– عامر عبد العزيز، الأحوال الشخصية في الشريعة الإسلامية فقهاء وقضاء، دار الفكر العربي، القاهرة، 1961.

– الصابوني عبد الرحمان، نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام، دار الفكر، الخرطوم، 1968.

– فلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، دار معظم للنشر، الجزائر، 2009.

– بوداود عبيد، الوقف في المغرب الإسلامي، مكتبة الرشاد، الجزائر، 2011.

– بنميرة عمر، النوازل والمجتمع، مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط (8-9هـ/14-15م)، منشورات كلية الآدب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الخامس، مطبعة الأمنية، الرباط، المغرب، 2012.

– عبدلي لخضر، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

– حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال الاجتماعية)، ج3، دار الحضارة، الجزائر، 2009م.

– عبد الشكور نبيلة، القضاء والقضاة في عهد الدولة الزينية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2011.

الرسائل والمذكرات

– بن خروف عمار، العلاقات بين الجزائر والمغرب (922–1069هـ/1517-1659م)، ليلى الصباغ، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1403هـ/1983م.

– بوساق رحيمة، دور المكتبات في نشر العلوم بالمغرب الأوسط تاهرت الرستمية (2–3هـ/8–9م) وتلمسان الزيانية (8–9هـ/14–15م)، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2017 – 2018م.

– البياتي بان علي محمد، النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (06/03هـ)، صباح إبراهيم الشيخلي، قسم التاريخ، كلية التربية للبنات، بغداد، 2004م.

– حوالة يوسف بن أحمد، الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس هجري (90-450)، المملكة العربية السعودية وزارة التعليم

العالي جامعة أم القرى، مركز البحوث الدراسات الإسلامية مكة المكرمة، 1421هـ/2000م.

– عميور سكينة، ريف المغرب الأوسط في القرنين (05-06هـ/11-12م)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قسنطينة02، الجزائر، 2012-2013م.

– قموح فريد، الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي بن موسى بن عيسى المازوني (ت883هـ) دراسة وتحقق لمسائل الجهاد والأيمان والنذور، مذكرة ماجستير في تاريخ الوسيط تخصص علم المخطوط العربي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2011/2010م.

– يزير بشير، الحركة الاقتصادية في ريف وبادية المغرب الأوسط وآثارها الاجتماعية في العصر الوسيط، ق(7-8هـ/13-16م)، أحمد شريفي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، 2018-2019م.

المراجع باللغة الأجنبية

– Mercier. E, Histoire de l’Afrique septentrionale (Berberie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française, Edition Ernest Leroux, Paris, 1888, t 2.

مناهج البحث

لإنجاز هذا البحث اعتمدت على المنهج التاريخي، الذي يعتمد على أدوات (الوصف، التحليل، الاستنتاج، المقارنة)، حيث استعملت أدوات الوصف والتحليل في تحليل المادّة الخبرية للموضوع المستقاة من مصادر الموضوع الأصلية والتي هي كتب الفقه والنوازل والتي حوت مادة خبرية مهمّة تكاد تختفي بين ثنايا المادة الفقهية وتفريعاتها المقصودة أصلا، بالتأليف فكان التحليل التاريخي منهجي في إعادة تقديم هذه المادّة في شقّها التاريخي وبالضبط في جانبه الاجتماعي المرتبط أساسا بموضوع البحث.

واستعملت بعض أدوات المنهج الإحصائي في تصنيف الجوائح الطبيعية في جداول إحصائية، وقيم كمية لتوضيح تأثيراتها على باقي مجالات الحياة الاجتماعية، بغرض الوصول إلى التحليل الكمي السليم للظاهرة الناتج عن دلالات ومعطيات ومقاربات رقمية ولتفادي الأحكام المسبقة والوصول إلى نتائج علمية دقيقة وموضوعية خالية من الذاتية والتزييف.

.1
بلاد المغرب الأوسط «الموقع، المجتمع، الدولة»

أفادت المصادر الإخبارية العربية الإسلامية ومصادر الفتح الإسلامي بأنّ الوحدات الإقليمية للشمال الإفريقي لا تكاد تختلف عن بعضها البعض في مكونها البشري، وفي امتدادها الجغرافي، ولعلّ ما زاد من وحدتها وتكتّلها، هو نضالها ضدّ الوجود الأجنبي منذ عصور موغلة في التاريخ، فمنذ استقرار الجماعات البشرية الأولى عبر الهجرات التاريخية تكوّن شعب البربر الذي وجده الفاتحون عشية الفتح الإسلامي يتكوّن من قبائل منتظمة وعشائر لا تختلف كثيرًا عن قبائل العرب في طبائع عيشها وفي معطيات حياتها.

إن التعريف ببلاد المغرب الأوسط يسوقنا حتما إلى التعريف بالمكوّن البشري والجغرافي لبلاد المغرب كلّها ذلك أن الوحدة البشرية والجغرافية كانت تتوالى عليها التأثيرات الخارجية على قدم المساواة، فلم يتميّز مجال عن الآخر إذ انتظمت كلّ أقطاره من جديد، وانخرطت في هيكل العالم الإسلامي، وكوّنت جناحه الغربي الذي يعرف ببلاد المغرب الإسلامي، وهي المكوّن الأصيل لبلاد الغرب الأوسط بعد فتح الأندلس.

على إثر ذلك توحدّت المرجعيات الثقافية والفكرية لبلاد المغرب الأوسط وانتقلت النظم الحضارية بسلاسة بين أقطاره ولم تكن الكيانات السياسية المستقلّة التي تأسّست في أقطاره عائقا أمام تبادل القيم والعلوم والثقافة والعادات والتقاليد وتلاقح الأفكار وتساوي سبل العيش وتماثلها، لذا يلاحظ الباحث دائما تساوي وتكامل التراث الفكري والموروث الفقهي الذي أنتجته النخب العالمة ولا يرى حرجا من اعتمادها كمرجع للبحث التاريخي دون مراعاة للحدود السياسية الناشئة لأقطاره التي تكوّنت فيما بعد وفقا لظروف تاريخية معيّنة.

قسّم العرب المسلمون الفاتحون بلاد المغرب الإسلامي إلى ثلاثة أقسام لمّا استعصى عليهم تسيير البلاد كلها إلى المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وبعد مرور الزمن أصبحت الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى والدولة الزيانية بالمغرب الأوسط والدولة المرينية بالمغرب الأقصى، وعاشت الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط تقاوم تدخلات الدولتين المرينية والحفصية ومحاولة توسّعها على حساب مجالها السياسي حوالي ثلاثة قرون كانت الحرب فيها بينهم سجالا على جناحي الدولة الشرقي والغربي[1].

وإلى جانب كتب التاريخ العام فإنّ كتب النوازل الفقهية والمؤلفات المنقبية مكنت المهتمين من بناء فكرة متكاملة حول الأوضاع الاجتماعية والحياة الاقتصادية وتأثّرهما بعوامل طارئة كالكوارث الطبيعية والأمراض والجوائح التي تصيب الإنسان والأرض والنبات والحيوان وتؤثّر في استقرار المعطيات الحياتية للفرد والجماعة وتؤثّر في استقرار الحكم السياسي وفي مقاومة التدخلات الخارجية والفتن والمقاتل الدّاخلية.

1.1 المعنى اللغوي لبلاد المغرب الإسلامي

لابد من التعرف على المعنى اللغوي لبلاد المغرب الإسلامي حتى يسهل علينا التعرف على الموقع الجغرافي وتاريخه عبر مرور الزمن خلال العصر الوسيط، ومعرفة الأسماء المتداولة على هذه المنطقة الجغرافية.

1.1.1 لغةً

المغرب لغوياً كما جاء في القواميس وعند المؤرخين هو عكس وخلاف للمشرق، وفي دراساتنا لكتب الفقهاء والمؤرخين نجد أنهم لا يفرقون بين الغرب والمغرب بمعنى واحد في

[1] نورالدين غرداوي، كتاب الجامع للقاضي أبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني "المتوفي سنة 833هـ / 1478م" (الجزء الرابع من ديوان الدرر المكنونة في نوازل مازونة) دراسة وتحقيق، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، ج01، 2010 – 2011م، ص 22.

اللَّغة[1]، فذكر عبد الرحمان ابن خلدون أن (لفظ المغرب في أصل وضعه اسم إضافي يدل على مكان من الأمكنة بإضافته إلى جهة المشرق كذلك بإضافته إلى جهة المغرب)[2].

جاء في القرآن الكريم المعنى الحقيقي كما قال الله سبحانه وتعالى: {رب المشرقين ورب المغربين}[3]، والمغرب بالنسبة للمشرق هو جهة غروب الشمس، فإن جل الباحثين والفقهاء والمؤرخين يرون بأن الغرب هو من جهة غروب الشمس، وهناك من يرى أن كل البلدان والمناطق الواقعة اتجاه الشمس، والمشرق هو البلدان التي تقع في جهة شروق الشمس أي المغرب عكس المشرق[4].

ومن أكمل توصيفات حدود بلاد المغرب ما جاء به إبراهيم التهامي نقلا عن ياقوت الحموي ت (626ه/ 1228م) بقوله: "المغرب -بالفتح- ضد المشرق وهي بلاد واسعة كثيرة و وعثاء شاسعة، قال بعضهم: (حدّها من مدينة مليانة وهي آخر حدود إفريقية[5]، إلى آخر جبال السوس التي وراءها البحر المحيط وفيه جزيرة الأندلس[6]، وإن كانت إلى الشمال أقرب

---

[1]يوسف بن أحمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح وحتى منتصف القرن الخامس هجري (90- 450ه/ 708- 1058م)، المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي جامعة أم القرى، مركز البحوث الدراسات الإسلامية مكة المكرمة، 2000 م، ج01، ص 39.

[2]عبد الرحمان ابن خلدون (ت808ه/ 1405م)، العبر ودوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح خليل شحادة وسهيل زكار، دار الكتاب اللبناني لطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1959م، ج 06، ص 193.

[3]سورةالرحمان، الآية 17.

[4]يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص 40.

[5]إفريقية: ذكرها أول مرة الواقدي من خلال المؤرخين المسلمين الذي توفي ستة (207ه/822م) في تأليفه فتوح إفريقية، أما بن عبد الحكم ذكر قول: "أن عمر ابن العاص استشار عمر بن الخطاب لغزو إفريقية بعد فتحه: أطرابلس فأرسل له فرمان: لا إنها ليست بإفريقية، ولكنها المفرقة، غادرة مغدور بها، لا يغزوها أحد ما بقيت"، حتى أن الملك جرجير خرج عن سلطة هرقل وتغلغل في إفريقية، حتى أصبح يحكم من أطرابلس إلى طنجة، أما البكري قال من برقة شرقاً إلى طنجة غرباً، أنظر/ حسن الوزان ، وصف إفريقيا، تح محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ج1، ص ص71 – 72.

[6]حاج عبد القادر يخلف، مصطلح المغرب الأوسط في المصادر الإسلامية الوسطية، عصور الجديدة، مج07، ع26، 2017م ، ص 146.

منها إلى الجنوب)، فهذا التعريف اللغوي وجده الباحث في معجم البلدان الذي أمدّنا بتعريف ووصفً متكامل[1].

2.1.1 اصطلاحاً

أفادنا الكثير من الفقهاء والمؤرخين والجغرافيين والباحثين عن أصل تسمية بلاد المغرب الإسلامي وتقسيماته السياسية وحدوده الجغرافية من العصر القديم حتى العصر الوسيط، حيث سميت بلاد المغرب الإسلامي في العصر القديم بإفريقية التي ذكرها عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه حيث قال لعمر ابن العاص عند توجهه نحو بلاد المغرب «أنها إفريقيا المفرقة»[2]، وجاءت هذه التسمية في قول علي رضي الله عنه وأرضاه عند محاربة معاوية ابن أبي سفيان، قال تجهزوا لمعاوية في بلاد المغرب.

ورد ذكر المغرب في أحاديث لم تذكرها كتب الصحاح وأوردها الإخباريون الأوائل كابن عبد الحكم إلا حديثا واحدا ذكره البخاري في كتاب الفتن مفاده ونصّه أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أوّل أشراط السّاعة نار تحشر النّاس من المشرق إلى المغرب»[3].

ولم ترد في شروح الأحاديث إن كان يقصد صلّى الله عليه وسلّم الجهة الغربية التي تقابل المشرق دون تخصيص البلاد بتسمية "المغرب"، أو كان يقصد في حديثة الشريف تسمية البلاد بلفظها هذا تعيينا وتخصيصا فتعتبر بذلك أوّل تسمية تطلق على الجناح الغربي لدولة الإسلام وهي التسمية التي يجب أن تعتمد بموجب نصّ الوحي الشريف الذي يجب أن يعتمد دون نقاش ولا تمحيص.

وإلى ذلك نستطيع أن نعتمد هذا الحديث الذي ورد صحيحا في سلسلة صحيح الإمام البخاري لنعضّد به السياقات الاصطلاحية الأخرى، ومنها أن الخليفة عمر بن الخطاب[4]، أمر

---

[1] إبراهيم التهامي، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة ناشرون، لبنان، 2002م، ص17.

[2] ابن عبد الحكم (285ه)، فتوح مصر والمغرب، تح علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2004، ص200.

[3] أبو عبد الله محمد إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، 2002، رقم 394، ص109.

[4] ابن عذارى المراكشيّ، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح ج. س. كولان و إ. ليفي بروقنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م، ج 1، ص 06.

بفتح إفريقية من عمر بن العاص فاتح مصر، ولم يستجب له، كذلك عندما أراد عقبة بن نافع أن يؤسس مدينة القيروان، قال لمعاوية بن أبي سفيان: (إنّ إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزاً للإسلام إلى آخر الدهر)[1].

ظهر لفظ المغرب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلافة الراشدة، ثم اتسع هذا اللفظ مع الدولة الأموية في فترة حكم آل مروان، بعد أن ولى الخليفة الوليد بن عبد المطلب موسى بن نصير على إفريقية والمغرب[2]، ويرى المتخصّصون في المصطلح الجغرافي وتسمياته أن تسمية هذه المنطقة باسم المغرب هي تسمية لم تكن معروفة من قبل بل هي حديثة مع الفتح الإسلامي خلال القرن الأول هجري، باعتباره في الجهة الغربية بالنسبة لمركز الخلافة الإسلامية التي توجهت منها الجيوش لفتح المغرب، ومن هذه التسمية جاءت التقسيمات الثلاثة منها: المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى[3].

تبلورت هذه الفكرة مع الولاة الأمويين بتسمية المغرب الإسلامي وأخذوا هذا اللفظ من تلك الحقبة، حيث قال: الخليفة سليمان بن عبد الملك الأموي، لمحمد بن يزيد المولى القريشي: (يا محمد بن يزيد، أتقِّ الله وحده لا شريك له، وقم فيما وليتك بالحق والعدل، وقد وليتك إفريقية والمغرب كله، فانصرف وقال: مالي عذرٌ عند الله إن لم أعدل)[4].

لقد تبلور هذا المعنى الاصطلاحي زمن الدولة العباسية، مع تقسيم الخليفة المهدي بن المنصور بين ولديه الرشيد والهادي، الذي منح الرشيد المغرب كله من مصر إلى المحيط الأطلسي، أما الهادي فمنحه المشرق كله وأذربيجان وأرمينية، وهناك بعض العلماء والمؤرخين يرجعون التقسيم إلى الرشيد الذي قسم دولته على النحو السابق لأبيه، وعندما نعود إلى أحاديث الرسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلى كتب الأنساب والنوازل الفقهية وكتب

[1] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص 42.

[2] ابن عذارى المراكشيّ، المصدر السابق، ج01، ص 14.

[3] عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب، القاهرة، مصر، 1991م، ص 11.

[4] ابن عذارى المراكشيّ، المصدر السابق، ج01، ص 47.

التراجم والطبقات وكتب المؤرخين والرحالة وكتب الأساتذة والباحثين نجد أن المدلول الاصطلاحي ظهر في العصر الوسيط مع ظهور الدولة الإسلامية[1].

ويرى الجغرافيون والفقهاء والمؤرخون المسلمون القدامى أن أهل مصر كانوا ينظرون اتجاه الجنوب ويسمّون أيمانهم مغربا، وعن شمائلهم مشرقاً[2].

أما ابن عذارى فقد ذكر أنه في سنة (55هـ/674م) خلّف معاوية بن أبي سفيان على مصر وإفريقية مسلمة بن مخلد الأنصاري، وعزل معاوية بن حديج عن مصر، ثم عزل عقبة بن نافع عن إفريقية، ثم ولّى مولاه أبا المهاجر ديناراً على إفريقية، فجمع مصر إلى طنجة، وهو أول من جمع له الغرب كلّه[3].

وفي موضع آخر قال: «الذين أخذهم حسان من المغرب الأوسط قبله، ثم ولى طارق بن زياد على المغرب الأقصى، وقال أيضاً تم إسلام أهل المغرب الأقصى»[4].

بينما يرى ابن حوقل ت (367هـ/977م) في تعريفه لبلاد الـمغرب بأن الأندلس تابعة لها، وهي جزء منه، بقوله: «وأما الأندلس فهي تتصل بالبر الأصغر من جهة جليقية، وإفرنجية، وهي من جملة المغرب ويحيط بها الخليج المذكور»[5].

أما المراكشي فيفيد في البيان المغرب في عبارة مباشرة أنّ (بلاد الأندلس أيضا من المغرب وداخلة فيه لا تسألها به)[6].

ورغم كل اختلاف الباحثين والفقهاء والمؤرخين حول مدلول كلمة المغرب سواء من حيث التسمية أو الجغرافية التاريخية، نستطيع القول إنه يعني: (المغرب العربي الإفريقي بتنظيماته السياسية المعروفة اليوم، وهي الجماهيرية الليبية، الجمهورية التونسية، الجمهورية الجزائرية، المملكة المغربية، ثم الجمهورية الموريتانية، والجمهورية العربية

---

[1] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص 41.

[2] أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م، مج1، ص 54.

[3] ابن عذارى المراكشيّ، المصدر السابق، ج01، ص 21.

[4] المصدر نفسه، ج01، ص 43.

[5] أبي القاسم ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1992 م، ص 105-106.

[6] ابن عذارى المراكشيّ، المصدر السابق، ج1، ص6-7.

الصحراوية)، هذا هو المغرب العربي أو شمال إفريقيا لأن هذه الجمهوريات تقع في شمال القارة الإفريقية[1].

وإجمالا أطلق هذا الإسم أو مصطلح المغرب على المنطقة التي تمتد من أرض مصر إلى ساحل المحيط الأطلسي ومن تخوم أوروبا إلى بلاد الصحراء الكبر أو بلاد الزاب، وهناك من المؤرخين من يضم بلاد الأندلس إلى المغرب.

ويقسم الإصطخري، بلاد المغرب إلى قسمين يمتدان على بحر الروم، فالنصف الأول من شرقه الذي يحتوي على برقة وتاهرت وسوس وزويلة، والنصف الثاني من غربه يحتوي على الأندلس[2].

بينما ذكر المقدسي[3]، أن بلاد المغرب تمتد من مصر وبرقة وإفريقية وتاهرت حتى فاس وسجلماسة ثم سوس الأقصى دون إضافة بلاد الأندلس.[4]

2.1 الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي

استعرضت المعنيين اللغوي والاصطلاحي لبلاد المغرب الإسلامي من أجل تسهيل عملية توضيح الإطار الجغرافي التاريخي لبلاد المغرب الإسلامي وأقسامها، التي تعد مسرحاً للحوادث من بداية ظهور الإنسان عليها وتأسيس الكيانات فيها من العصر القديم إلى العصر الوسيط، و محاولة إنسان هذا الإقليم إثبات وجوده و تميّزه وتعمير أرضه ومقاومة التدخلات الأجنبية وبناء مدنيته وخصوصياته الحضارية التي ستظهر مع الفتح الإسلامي وطيلة الفترة الوسيطة.

---

[1] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص 44.

[2] الإصطخري أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن ألمانيا ،1927، ص31.

[3] المقدسي ت (335هـ/ 946م): هو شمس الدين أبوا عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي البشاري الذي ولد في البيت المقدس، ثم أصبح متقن للفارسية إلى أن توفي (390هـ/1000م)، الذي ناهز عمره 55سنة، الذي ساهم جده في بناء ميناء عكا في عهد ابن طولون ثم ارتحل إلى العراق وكتابة تأليفه عن المؤلفات المؤرخين الآخرين. أنظر/ إبراهيم أحمد سعيد، إسهامات المقدسي في الجغرافيا والدراسات الإقليمية، مجلة دراسات التاريخية، العدد 117 – 118، كانون الثاني، حزيران، 2012م، ص 154م.

[4] بان علي محمد البياتي، رسالة ماجستير النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (03- 06هـ/ 09 –12م)، صباح إبراهيم الشيخلي، قسم التاريخ، كلية التربية للبنات، بغداد، 2004م، ص 08.

1.2.1 الإطار الجغرافي

اختلف المؤرخون والفقهاء والجغرافيون الذين استخدموا علم الجغرافيا[1] حول هذا المدلول وضبطه[2]، فهناك من يعتبر أن اللَّفظ الجغرافي والتاريخي يعني كل ما بين مصر غربًا حتى المحيط الأطلسي إلى الأندلس والجزر المتوسطية منها (جزر البليار، صقلية، سردينيا، كورسيكا)، لذلك نشب الاختلاف بين الباحثين والفقهاء والجغرافيين، عندما نعود إلى تقسيم دولة هارون الرشيد بين ولديه الأمين والمأمون، عندما قدم المغرب كله إلى الأمين الذي يشمل بلاد الشام والعراق ومصر وإفريقية، لذلك نستطيع القول بأن هذا تقسيم إداري يخضع لاصطلاحات السياسة وضروراتها فقط[3]، وسنرى في شرحنا التالي لجغرافية المغرب الإسلامي ووصف الرقعة الجغرافية[4].

بلاد المغرب هي جزءً من البلاد الإسلامية التي تتميز بخصائصها ومظاهرها وطبيعة تشكيلة البنية التكوينية سواءً اجتماعية وسياسية واقتصادية أو ثقافية وغيرها، على ممر الزمان التي تحاذي بلاد المشرقِ من الجهة الغربية، وتمتد من برقة شرقا والبحر الأبيض شمالًا حتى المحيط الأطلس غربًا، وبعد الفتح الإسلامي أصبح المغرب الإسلامي غرب مصر حتى بلاد الأندلس[5]، ومما ذكره ابن حوقل في كتابه "صورة الأرض" أنّ المغرب يمتد من مصر وبرقة إلى إفريقية حتى طنجة وسبة غربا، أما شمالا القسطنطينية وجليقية والصقلية حتى الأندلس، أما جنوبا من نهر النيل إلى أرض النوبة وغانة وأدغست حتى برغواطة[6]، فهذه البلاد أطلق عليها اليونان اسم ليبيا من مصر شرقاً إلى المحيط الأطلس غرباً والبحر الأبيض المتوسط شمالاً والصحراء الكبرى جنوباً[7].

---

[1] عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب ،القاهرة، مصر، 1991م، ص 11.

[2] جمال الفندي، الجغرافيا عند المسلمين، بيروت، لبنان، 1982 م ، ص 12 .

[3] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص 44 .

[4] حسين عليوي ناصر الزيادي، تطور الفكر الجغرافي في الحضارات القديمة، مجلة أوروك، جامعة ذي القادر،م 07، ع 01، 2014 م، ص 15.

[5] نميش سمية، دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين (07– 10هـ/ 13– 16م)، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، الجزائر، 2013 / 2014 م، ص 10.

[6] أبو القاسم ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1992 م، ص 64.

[7] بشير رمضان تلسي، الاتجاهات الثقافية في المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2003، ص 27.

قال اليعقوبي[1]: (فأما من أراد أن يسلك من مصر إلي برقة وأقاصي المغرب، نفذ من الفسطاط في الجانب الغربي من النيل حتى يأتي ترنوط، حتى المغرب الأقصى)[2]، ويشير ابن الفقيه إلى الحدود الشرقية فيتضح لنا من قوله: (أن مصر على حساب تسميتها أنها الحدود الشرقية للمغرب الإسلامي، وهي بوابة إفريقيا من الجهة الشرقية للمغرب، وكذلك من خلال مدنها وأريافها والقبائل التي تسكن فيها)، وكذلك نستنتج من حديث أبي الفداء أنها الحدود الشرقية لبلاد المغرب الإسلامي، وأنه يذكر حدود المغرب من الجهة الشرقية بأنّها هي ديار مصر والواحات التي بين برقة والإسكندرية، ومن الجهة الشمالية بحر الروم إلى فم بحر الزقاق عند سلا[3]، ومن مدنها تنس وتونس والجزائر وسجلماسة[4].

ويرى المتأخّرون من المختصّين أن المغرب أطلق على البقعة الممتدة من قرية السلوم غرب الإسكندرية في الشرق، حتى المحيط الأطلس غرباً، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً، إلى بلاد السودان جنوباً "الصحراء الكبرى ومالي ونيجر والسودان "[5]، وقسمة بعضهم إلى أربعة أقسام كل قسم له مميزاته الخاصة به، مثل ساحل البحر الأبيض المتوسط الذي يمتد من مضيق جبل طارق حتى تخوم مصر، الذي يتميز بالجبال والهضاب التي تنبع سفحهم بالمياه وتخرج من الينابيع والعيون والبرك، ومن وراء هذه التلال تظهر سلسلة الأطلس من المحيط غربًا حتى بلاد مصر، ثم سهول بلاد نوميديا التي تنبت فيها النخيل وهي عبارة عن بلاد رملية، ثم الصحراء التي تأتي بعد بلاد نوميديا، ثم الصحراء الكبرى[6].

---

[1] اليعقوبي ت (284هـ/ 897م) هو أبو العباس أحمد بن يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي اليعقوبي، وميوله إلى الشيعة كلفته حياته، أما أبوه وجده كذلك عملوا في البريد، فمن تأليفه تأليف كتاب "البلدان". أنظر/ عبد الرحمان بن حميدة، أعلام الجغرافيين ومقتطفات من أثارهم، دار الفكر، دمشق، 1995م، ص 173.

[2] أبو العباس أحمد اليعقوبي ت (284هـ- 897م)، البلدان، دار العلمية، بيروت لبنان، 2002 م، ص180.

[3] محمد علي الخفاف ومحمد أحمد عقيلة المومني، دراسات في التراث الجغرافي العربي الإسلامي، دار الكندي النشر والتوزيع، الأردن، 2000 م ، ص28.

[4] أبو القاسم ابن حوقل النصيبي، المصدر السابق، ص 65.

[5] عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب، القاهرة، مصر، 1991م، ص 11.

[6] حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983، ج01، ص 72.

ورغم اختلاف المؤرخين حول الحدود الشرقية، فكذلك يوجد اختلاف حول الحدود الجنوبية إذ يذكر بعضهم أن حدود المغرب الجنوبية هي تخوم السودان، أي تشاد وغربي جمهورية السودان من جنوبها الشرقي ومالي والنيجر من وسطه والسنغال من جنوبه الغربي[1].

وتحدث ابن عذاري عن حدود المغرب وإفريقية فقال: قال أبو مروان في كتاب "المقباس" وابن حمادة في كتاب "القبس" وغيرهم من المؤرخين، (أن حد المغرب من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب إلى آخر بلاد المغرب وحده مدينة سلا ... مدينة تيهرت ويليها بلاد المغرب وهي بلاد طنجة وحدها مدينة سلا وهي أخر المغرب، وإذا جزت سلا وأخذت إلى ناحية الجنوب تركت مغرب الشمس يمنة وأخذت منها قافلا إلى قبلة فتسمى تلك البلاد تماسنا ويقال لها أيضا بلاد السوس ... مصر وإفريقية كلها والزاب والقيروان والسوس الأدنى والسوس الأقصى وبلاد الحبشة ومنه يتفرع نهر النيل)[2].

ويشير باحثين آخرين إلى أنّ حدود بلاد المغرب المتعارف عليها من خلال المؤرخين والجغرافيين القدامى، أن بلاد المغرب يحدها من الشرق برقة، ومن البحر الأبيض شمالًا، والمحيط الأطلس غرباً، وجنوباً الصحراء الكبرى[3]، فهذه الحدود متعارف عليها إلى حد الأن.

ويتوسّع باحثين آخرين في توصيفهم وتقسيمهم لبلاد المغرب الإسلامي بمدنها وحدودها، ويصوّرون المغرب خلال القرنين (06– 09هـ/12– 15م)، بجعل حدود لبلاد المغرب الإسلامي من الاتجاهات الأربعة منها: تحده تونس والقيروان والجريد شرقًا، والبحر الأبيض المتوسط شمالًا، وبلاد الأندلس والمحيط الأطلسي غربًا، وبلاد الزاب ومنطقة توات والصحراء الكبرى جنوبًا.

ثم يتمّ تقسيم المنطقة إلى ثلاثة أقسام منها: المغرب الأدنى[4] المعروف بمملكة بني حفص من تونس إلى بلاد الجريد شرقا حتى بجاية والحضنة والزاب غرباً، ثم بلاد المغرب الأوسط

---

[1] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص45.

[2] ابن عذارى المراكشيّ، المصدر السابق، ج1، ص ص05 -06.

[3] بشير رمضان تلسي، المرجع السابق ، ص27 .

[4] المغرب الأدنى (إفريقية): يمتد المغرب الأدنى من طرابلس شرقاً حتى مدينة بجاية وتاهرت غرباً الجزائر حالياً، الذي اتخذ عاصمته مدينة القيروان، هو الإقليم الذي (يمتد من الأجزاء الشرقية من المغرب أو مكان يعرف

التي تدعى مملكة بني زيان من بجاية والحضنة والزاب شرقًا حتى تنس ووجدة وواد ملوية غربًا، أما بلاد المغرب الأقصى التي تدعى مملكة بني مرين التي تمتد من تنس ووجدة ووادي ملوية شرقاً حتى المحيط الأطلس غرباً[1]، ثم أشار علي دبوز وفق تقسيم الفاتحين المسلمين لبلاد المغرب الإسلامي إلى ثلاثة أقسام منها: مغرب أدنى ومغرب أوسط ومغرب أقصى بالنسبة إلى بلاد المشرق[2].

ويختار الباحث محمد البياتي في توصيفه لبلاد المغرب ما جاء به ابن خردذابة (03هـ/ 09م)[3]، الذي قسم المعمورة إلى أربعة أقسام وميز بلاد المغرب في القسم الثاني، وهو الذي يتوافق مع ما ذكره الإدريسي وابن سعيد أن بلاد المغرب هي القسم الأول من الإقليم الرابع لتقسيم المعمورة إلى سبعة أقاليم، حيث أن بلاد المغرب تمتدّ من غرب مصر أي برقة شرقًا حتى سواحل المحيط الأطلس غربًا، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالًا إلى رمال الصحراء الإفريقية جنوبًا[4].

وأضاف أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني جزءًا من بلاد الأندلس[5]، فالمغرب الأدنى من الإسكندرية إلى بجاية، الذي يشمل إقليم برقة وطرابلس وتونس وشرق الجزائر حاليا[6]،

بإفريقية القنصلية ... ويرى بعض المؤرخين والباحثين والمحدثين أن إفريقية تعد أول أقاليم المغرب). أنظر/ يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص46.

[1]محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان، تح: محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبة الوطنية الجزائرية، قسنطينة، الجزائر، 1985م، ص291.

[2]محمد علي دبوز، تاريخ المغرب الكبير، دار علم المعرفة، الجزائر، 2013 م، ج3، ص245.

[3]ابن خردذابة ت (272هـ/ 885م): هو أبو القاسم عبد الله بن عبد الله المشهور بابن خردذابة، من أسرة فارسية وأبوه مجوسيًا، وحكم كبرستان في أوائل ق09م، وعلّم ابنه على يدي كثير من المشايخ، ثم تقلد منصب مدير البريد، حتى أن أصبح مقربًا من الخليفة المعتمد، ومن تأليفه الذي ألفه على مدى حياته نذكر المعروفة منها: "المسالك والممالك" التي بدأ في كتابتها في سنة (232هـ/ 846م)، ويذكر عبد الرحمان بن حميدة أن له 10 مؤلفات معروف عنوانها فقط. أنظر/ عبد الرحمان بن حميدة، المرجع السابق، ص 106م.

[4]بان علي محمد البياتي، المرجع السابق، ص 09.

[5]أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المناقب المرزوقية، تح سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغربية، المغرب، 2008، ص 22.

[6]محمد علي دبوز، المصدر السابق، ج3، ص 245.

أما المغرب الأوسط الذي يمتد ويشمل بجاية[1] شرقاً إلى وادي ملوية غرباً...، أما المغرب الأقصى فمن وادي ملوية شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً الذي يحتوي على فاس ومراكش[2]، وشمال البحر الأبيض المتوسط[3]، أما جنوبًا فجبال رملية ومن مدنها تنس ووهران[4].

ويمكن أن نأخذ بقول ابن حوقل النصيبي في تحديده لبلاد المغرب التي حددها على حساب المدن كمعيار لحدود الدول ومجالاتها الجغرافية، حيث قال: (وهذه جملة أحوال المدن المشهورة والمراسي والقرى المعروفة على نحو بحر المغرب من حدي برقة إلى بحر المحيط».[5]

وهناك من الباحثين الذين تحدثوا عن تقسيم بلاد المغرب الإسلامي من إقليم برقة مرورًا بإفريقية والمغرب الأوسط ثم المغرب الأقصى، ومنهم من يرى أن بلاد برقة ليست من بلاد المغرب الإسلامي[6].

وإجمالا للقول فيما يخصّ حدود بلاد المغرب يمكن أن نعتمد على توصيف عبد الرحمن ابن خلدون الذي وصف بأنّ: (المغرب قطر واحد ... فحدّه من الغرب البحر المحيط ... أما حده من الشمال فالبحر الرومي ... وأما حده من جهة القبلة والجنوب فالرمال الملتهبة ... إلى برنيق من بلاد برقة)[7].

ومن هذا التحديد نستطيع إعطاء حدود دقيقة لبلاد المغرب، ونؤكّد بأن بلاد المغرب هي المجالات التي تحدها صحراء برقة من الشرق، والصحراء الكبرى من الجنوب حسب

---

[1] بجاية: هي مدينة واقعة بشرق الجزائر التي كانت تمثل مركز أساسي في الجزائر ولعبت دور واسع في تاريخ الجزائر، حتى أن أصبحت عاصمة بني حماد، التي أصبحت لها نفوذ كاملة في المنطقة، وبعد زوال الدولة الحمادية ظهرة الدولة الزيانية ولكن لم تستطيع ظم ممتلكاتها، أنظر/ محمد بن عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تح محمود أغا بوعياد، تلمسان، الجزائر، 2011 م، ص284 .

[2] محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2007، ج1، ص46.

[3] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج3، ص517.

[4] صالح بن قربة، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، طبعة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص207.

[5] ابن حوقل، المصدر السابق، ص83.

[6] بان علي محمد البياتي، المرجع السابق، ص 09.

[7] عبد الرحمان ابن خلدون، العبر، تح: خليل شحادة، ج6، ص 128.

مصطلحنا اليوم، والبحر الأبيض المتوسط شمالاً كما سماه المؤرخون والباحثون سابقاً ببحر الروم، والمحيط غرباً.

فبلاد المغرب الإسلامي هي عبارة عن مناطق وسلاسل جبلية من بلاد مصر حتى بلاد الأندلس مربعة الشكل، تتميز بمنطقة شبه صحراوية، وقد أطلقت على بلاد المغرب الإسلامي الكثير من الأسماء منها: البربر، السيوب، الأفارقة، الأمازيغ نسبة إلى جدهم مازيغ[1]، ومن القبائل الساكنة به نجد: "بترونة، بنو غبرين، بني يتروغ، زرخفاوة، بنوا فراوصين، بنوا يراثن، قشتولة، بنوا صدقة، بنوا منقلات، يليتن، مشذالة، بنوا مليكش"، هذه القبائل الكبرى، أما القبائل الصغرى نجدها منتشرة في "وادي بجاية، وبني يعلى العجيسي، وزمّورة التي سكانها الرحالة والمجاورون من بلاد المشرق والأندلس"[2].

ومن المنازل الشهيرة فيه، منزل المنى، والدار الكبير بومينا، والكنيسة المزخرفة، ومنزل الحمام، ومنازل لبني مدلج، منها منزل الكنائس، ومنزل العوسج، ومنزل معن، ومنزل قصر الشماس، أما منازل العجم والبربر منها، منزل خرابة والرمادة والقصر الأبيض ثم مغاير رقيم ثم الروم وجب الرمل ومن دياري برقة منهم دار مراوة ومفرطة ومصعوبة وزكودة وغيرهم.[3]

3.1 الإطار التاريخي لبلاد المغرب الإسلامي

فمن معرفة المعنى اللغوي والاصطلاحي بلاد المغرب الإسلامي نستطيع التعرف على الإطار الجغرافي والتاريخي لبلاد المغرب الإسلامي وتقسيماته السياسية والمجالية في الفترة الوسيطية للعصر الوسيط.

1.3.1 الإطار التاريخي

تشير المصادر التاريخية ذات الطرح الدّيني إلى أن كل البشرية وكل إنسان على وجه الأرض يعود إلى نسل آدم عليه السلام، وهم الذين هلكوا في حادثة الطوفان خلال عهد

---

[1] سمية نميش، المرجع السابق، ص 10.

[2] عبد الرحمان دويب، الأعمال الكاملة للشيخ المهدي البوعبدلي، تر الشيخ المهدي أبو عبدلي ويلة، قسم التراجم، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013 م ، ص 276، أنظر/ الملحق رقم 06، ص 126.

[3] اليعقوبي (ت284ه)، المصدر السابق، ص 180.

سيدنا نوح عليه السلام، ونجا منهم سيدنا نوح عليه السلام ومن ركب معه في السفينة فقط، ومن بعد هذه الحادثة تفرق أبناؤه على ثلاثة فروع منهم: أبناء سام وأبناء حام وأبناء يافث[1]،في كل بقاع العالم ونتشار أبناءهم وتأسيس دولهم من بلدان أوروبا وإفريقيا وأسيا، حتى إلى يومنا هذ.

مما سبق يتّضح أن المسلمين الفاتحين الذين ساهموا في تطوير علم الجغرافيا ورسموا الخريطة بكل محاورها ونجحوا في محيط الأرض الكروية[2]، وكذلك المؤرخين والفقهاء المسلمين الذين قاموا بتسمية إفريقية والمغرب من بداية ظهور الإسلام ونتشاره في بلاد الغرب الإسلامي، عندما قام الخليفة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه بتولية عمر ابن العاص على بلاد المغرب، فأرسل عمر ابن العاص رسالة إلى الخليفة رضي الله عنه ضمّنها: (إن الله قد فتح علينا طرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام)، فقرأ رسالته وأعاد إليه الخليفة رضي الله عنه وأرضاه قائلا: (إنها ليست بإفريقية ولكنها المفرقة غادرة مغرورة بها لا يغزوها أحد ما بقيت)، بعد تولية الخليفة عثمان ابن عفان رضي الله عنه ولى عبد الله بن سعد بن أبي سرح على البلاد الغربية أي تقع من جهة غروب الشمس وكذلك غرب بلاد الخلافة الإسلامية والتي سميت بلاد إفريقية[3].

ويكاد يتفق الباحثون أنّ بديات بروز مصطلح أي تسمية بلاد المغرب الإسلامي ظهر مع علي رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان من الصحابة التابعين في حادثة الفتنة الكبرى سنة (37هـ/ 657م)، فسميت مصر وما بعدها عكس بلاد المشرق أو مركز الخلافة بالمغرب الإسلامي، حيث يذكر الفقيه العالم الطبري[4] حادثة لعلي رضي الله عنه وأرضاه للحرب مع

---

[1]محمد مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2007م، ج2، ص64.

[2]أحمد شلبي، الفكر الإسلامي، دار العلوم ، القاهرة ، 1986م، ص112.

[3]بان علي محمد البياتي، المرجع السابق، ص 09.

[4]الطبري ت (301هـ/ 913م): هو أحمد بن عبد الله محمد بن محمد الطبري القريشي الشافعي، الذي أخذ العلم عن أبيه وكذلك عن أبي الحسن الطبري، فبرز في التفسير من صور النقد وحصر التاريخ بالأمور السياسية والإدارية والقضايا الداخلية للدولة، وكتابه "تاريخ الرسل والملوك" يعتبر التاريخ فيه من المشيئة الإلهية والرسالة النبوية وبعدها تاريخ الصحابة، لأنه كتب تاريخه من مشيئة الخلق حتى مماته، أما برهان الدين دّلو يذكر أن الطبري هو أبو جعفر بن محمد بن جرير الطبري، الذي ولد في فاس وبعد رحلته استقر في بغداد، ومن مؤلفاته نذكر: تاريخ الأمم والملوك، ذليل المذيل، جامع البيان في تأويل القرآن اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع القرآن، حتى أن

معاوية في الشام فأرسل إلى قائده ابن العباس حاكم البصرة بتهيئة الجيش قال : (أما بعد فإنا خرجنا إلى معسكرنا بالنُخَيْلَةَ وقد أجمعنا على المسيرة إلى عدونا من أهل المغرب فأشخص إلى الناس حتى يأتيك رسولي(، ولقوله لأنصاره: (تسيروا للمسير إلى عدوكم من أهل المغرب)[1].

أما ابن عبد الحكم فيعتمد هذا الإسم بداية من عصره في القرن (03ه/ 09م)، حيث استدل بكلام معاوية بن حديج: (ثم خرج إلي المغرب بعد عبد الله ابن سعد معاوية بن حديج التجيبي سنة (34ه/ 654م))، ثم عبر الإصطخري قال (المغرب من حدود الإسكندرية حتى المحيط الأطلس مع جزء من الأندلس)، أما ابن عذاري قال ثلاثة أقسام هي : (إفريقية والمغرب والأندلس)[2].

كما تحدث عبد الرحمان ابن خلدون عن أهل بلاد المغرب الإسلامي «...وأما قطوبال فهم أهل الصين من المشرق، واللمان من المغرب، ويقال أن أهل إفريقية قبل البربر منهم، وأن الإفرنج أيضا منهم، ويقال أيضا أن أهل الأندلس قديما منهم»[3]، ويشير باحثون إلى أنّ المغرب هو المنطقة التي تحدها برقة شرقاً والبحر الأبيض المتوسط شمالاً والمحيط الأطلس غرباً والصحراء الكبرى جنوباً، وأطلق عليها اليونان قديماً اسم ليبيا من الشرق إلى المحيط الأطلس، أما الرومان كانت لهم ولاية نوميديا وولاية موريتانيا[4].

وفته المنية في بغداد، وفي طلبه للعلم تبحر في فنون العلم وجمعه، فكان من فقهاء عصره وحافظ لكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة الكرام. أنظر/ ابن القاضي، درة الحجال في معرفة الرجال، ص35. برهان الدين دلو، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي السياسي، ص15. نجاة فخري مرسي، عباقرة من التاريخ، ص109. أبي يزيد الثعالبي، تفسير الثعالبي، المسمى بجواهر الحسان في تفسير القرآن، تح عبد الفتاح أبو سنة، دار حياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1997م، ج01، ص 84.

[1] محمد أمين بوحلوفة، أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي، بوركبة محمد، تاريخ وحضارة إسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2013 – 2014م، ص 34.

[2] حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص ص146-147.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص10.

[4] بشير رمضان تلسي، المرجع السابق، ص27 .

تعني كلمة أو اسم المغرب المطلق على إفريقيا الذي نجده مدون في كل إنتاج علمي وتاريخي، هو المغرب الذي يمثل الوحدة الحضارية، ومن هذا الإسم انشقت أسماء وهي المغرب الأقصى والمغرب الأوسط والمغربين الأدنى[1]، وكذلك المغرب يضم إفريقية الصغرى أو إفريقية الأمامية التي يحدها من الشرق والشمال والغرب البحر أما جنوباً الصحراء الكبرى، التي تتميز بانعزالها عن العالم وسواحلها الوعرة وبها سلاسل جبلية التي كانت حاجزًا في التواصل مع العالم الخارجي[2].

كذلك نستدل ببعض أقوال حاج عبد القادر يخلف الذي نقل عن ابن القوطية ت (376هـ/ 986م) (أنَّ سليمان بن عبد الملك ولّى إفريقية وما وراءها من المغرب عبد الله بن يزيد مولى قيس، بعد سخطه على موسى بن نصير وعزله إياه عن إفريقية وما وراءها من المغرب)[3]، ولذلك يرى الجغرافيون المعاصرون في كتاباتهم، أنّ المغرب قسمه الجغرافيون إلى ثلاثة أقسام منها القسم الأول: إفريقيا التي تمثل ليبيا وبعض القطع من تونس، أما القسم الثاني: هو المغرب الأوسط الذي يشمل غرب تونس والجزائر حاليا، أما القسم الثاني: الذي يشمل غرب الجزائر وهي بلاد مراكش[4].

وهذه المنطقة التي كانت تدعى بالمغرب فهناك من كان يسميها بالعدوة المغربية مقابل العدوة الأندلسية، ورغم كل التقسيمات التي تحدث عنا المؤرخون لبلاد المغرب الإسلامي، فهناك الكثير من الفقهاء والمؤرخين لم يذكروا هذه التقسيمات بل المغرب كله من برقة إلى الأندلس[5].

إن الباحثين والمؤرخين المعاصرين يرون بأن حدود إفريقية التي تقع بين برقة وبجاية، ومن بجاية إلى المغرب الأقصى المغرب الأوسط، أما المغرب الأقصى الذي يمتد من نهر ملوية وجبال تازة حتى المحيط الأطلسي[6].

---

[1] محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقيا، دار الكتب الجديدة المتحدة، بنغازي ليبيا، 2003 م، ص11.

[2] بشير رمضان تلسي، المرجع السابق، ص27.

[3] حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص150.

[4] محمد علي الخفاف ومحمد أحمد عقيلة المومني، المرجع السابق، ص28.

[5] حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 150.

[6] بان علي محمد البياتي، المرجع السابق، ص 09.

وكانت القبائل في هذه الأقسام متنقلة من منطقة إلى أخرى، مثل: قبيلة مكناسة البترية التي نشأت في القرن الثاني هجري على (وادي ملوية من لدن أعلاه بسجلماسة إلى مصبه في البحر وما بين ذلك من نواحي تازة وتسول)، أما محمد حسن نقلا عن اليعقوبي فيتحدث عنها بأنها كانت في تلمسان، ونقاوس بالحضنة وبسكرة بالزاب[1].

أما محمد على الخفاف يذكر أن ابن الفقيه تحدث عن مصر التي هي حدود المغرب الإسلامي بأنها: (... سميت مصر بمصر بن أينم بن حسام بن نوح وافتتحها عمر ابن العاص، قال ابن السكيت سميت مصر لأنها الحد وأهل هجرة يكتبون في شروطهم اشترى جميع الدار بمصورها أي بحدودها ... وأرض مصر محدودة أربعين ليلة في مثلها وكانت منازل الفراعنة وكان اسمها باليونانية مقدونية ... وطول مصر من الشجرتين اللتين بين رفح وعريش إلى أسوان وعرضاً من برقة إلى أيله وهي مسيرة أربعين ليلة في أربعين ليلة ...)[2].

فهناك بعض القبائل التي كانت تعتمد على الترحال والتنقل من المشرق الإسلام إلى مصر، حتى وصلوا إلى بلاد المغرب الإسلامي، (فاستوطنت قبيلة في جبال الونشريس، وأخرى بمكناسة ثم تحولوا إلى مدن، مثل مطماطة التي اجتاحت على بلاد المغرب)، ويضيف محمد حسن نقلا عن ابن خلدون الذي قال بأنهم (مفرقون في المواطن فمنهم من نواحي فاس من قبلّتها في جبل هناك معروف بهم ما بين فاس وصفروى، ومنهم بجهات قابس والبلد المختط على العين الحامية من جهة غربها، منسوب إليهم إلى هذا العهد يقال لهم مطماطة)[3].

وسكنوا الجبال والتلال والمناطق العلوية من أجل الابتعاد عن الأخطار الناجمة عن الثورات والغزوات، ومنازلهم من كهوف ومغارات، معتمدين العيش البسيط والماء القريب منهم والكلأ والغذاء وبعدهم عن الوحوش الضارة التي تؤدي إلى الهلاك، مثل مناطق بجاية والجزائر، وكانوا يدفنون موتاهم فوق الكهوف والجبال، وأدواتهم من عظام الحيوانات والأخشاب والمناقير[4].

---

[1] محمد حسن، المرجع السابق، ص 11. أنظر/ الملحق رقم 07، ص 127.

[2] محمد علي الخفاف ومحمد أحمد عقيلة المومني، المرجع السابق، ص 28.

[3] محمد حسن، المرجع السابق، ص11. أنظر/ الملحق رقم 05، ص 125.

[4] محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ج1، ص 66.

4.1 الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط خلال القرنين(7-8هـ/ 13-14م)

المغرب الأوسط مجال شاسع المساحة محصور بين المغربين الأدنى والمغرب الأقصى، اللّذين يشابهانه في المكوّن التضاريسي الطبيعي، لهذا يخيّل للدارس دائما أن المغرب الأوسط، ربما بسبب الصراعات السياسية والتدافعات المذهبيّة التي عاشتها هذه المنطقة من القرن (02هـ/ 08م) إلى غاية القرن (09هـ/ 15م)، وكان ذكر بلاد الغرب على سبيل الإجمال والتعميم في غالب المصادر الإسلامية خاصة الباكرة منها.

1.4.1 الإطار الجغرافي

بعد ظهور العديد من القوى والدول التي تحكمت في امتداد وتقلّص الرقعة الجغرافية للمغرب الأوسط[1]، وعلى مر الزمن دائماً نجد تغييرا في الحدود الجغرافية التي تمكن على حساب الدولة القائمة في بلاد المغرب الأوسط، على أنّ نهر ملوية يعتبر الحد الفاصل المستقر بين المغربين الأقصى والأوسط، وجنوبًا الصحراء الكبرى[2] تفصل بين المغرب الأوسط وإفريقيا.

إن الدولتين الأموية والعباسية اللتين توجهتا بأنظارهما نحو بلاد المغرب الأوسط في القرنين الأول و الثاني من أجل محاولتهما الاحتفاظ بقطر المغرب قد فشلتا في مدّ سلطانهما السياسي فقد نشأت دويلات مستقلة منها الدولة الأغلبية في المغرب الأدنى بالقيروان والدولة الرستمية في بلاد المغرب الأوسط في تاهرت والدولة الإدريسية في بلاد المغرب الأقصى بفاس، وقد تحكمّت تلك الدّول في مجالاتها وفي امتداد وتقلّص الحدود الجغرافية في بلاد المغرب الأوسط كله خاصة عندما تكون في أوج قوّتها، إلى أن انبعثت الدولة الفاطمية إلى بلاد المغرب الأوسط وخلفت وراءها الدولة الزيرية، بعد انتقالها إلى بلاد مصر وتأسيس قاعدتها في القاهرة سنة (362هـ/ 972م)[3].

تذكر لنا نميش سمية إن اختلف الفقهاء والمؤرخون في توصيف حدود المغرب الأوسط مثل: ابن عبد الرحمان خلدون الذي يختار ويرى بأنّ الحد الفاصل بين المغربين الأوسط والأقصى هو نهر ملوية، أما صاحب الاستبصار في عجائب الأمصار يذكر أنّ الحد الفاصل

---

[1] نورالدين غرداوي ، المرجع السابق، ج01، ص ص21 - 22.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ج07، ص 66.

[3] حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 147.

بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى بلاد تازة، وهذه الأسباب تعود إلى تذبذب الأمن والاستقرار بين الدولتين الزيانية والمرينية[1]، حيث ذكر خلال القرن (5ه/ 11م) تلمسان[2]قال: (وهذه المدينة تلمسان قاعدة المغرب الأوسط لها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها الطواحين وهو نهر سطفسيف، وهي دار مملكة زناتة ومتوسطة قبائل البربر ومقصد للتجار الآفاق)[3]، كذلك حاج عبد القادر يخلف نقلا عن الإدريسي (ت560ه/ 1164م) يرى أنّ الحدود الفاصلة له هي البحر الشامي (الذي يمر مشرقاً في جهة بلاد البربر وبشمال المغرب الأقصى إلى أن يمر المغرب الأوسط ويصل إلى أرض إفريقية)[4].

وبقراءة متأنّية لكتاب الاستبصار لصاحبه المجهول، يتراءى لنا أنه من الصعب تحديد بلاد المغرب الأوسط حسب تعريف الجغرافيين العرب، فإفريقية تختلط بالمغرب الأوسط، والمغرب يتداخل في الأندلس[5]، وهذا يعود إلى الضعف والقوة التي كانت سببا في امتداد وتقلص الحدود الجغرافية من زمن إلى آخر وعلى حساب تعاقب الدويلات على بلاد المغرب

---

[1] سمية نميش، المرجع السابق، ص 11.

[2]تلمسان: تعريف ابن خلدون: "أنها تتكون من مقطعين الأول، تلم: تجمع والثاني: سان معناها اثنان، أي تجمع الاثنان وهما البر والبحر"، أما تلمسان بكسر التاء والمثناة من فوق اللّام وسكون الميم وفتح: السين المهملة وفي آخرها النون، حيث أن "تلمسان مدينة أزلية ولها سور حصين متقن الوثاقة وهي مدينتان في واحدة ويفصل بينهم سور، وهي مدينة حسنة لرخص أسعارها ونفاق أشغالها ومرابح تجارتها ولم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة أغمات وفاس أكثر من أهلها أموالا ولا أرفه منهم حالًا، فالجغرافي الزهري عرف تلمسان: "أن تلمسان مدينة عظيمة فيها عيون كثيرة ومياه غزيرة، وهي كثيرة الزرع، ولها أعمال عديدة، ودار مملكة يعمل فيها من كل شيء بديع"، فتلمسان مدينة عريقة ذات ثروات طبيعية المنحطة في سفح جبل مثل الملكة، حتى أن أصبحت نقطة وصل بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، أما رمضان شاوش عرف تلمسان تعريف جغرافي: أن ارتفاعها عن البحر من الجهة الشمالية ثمانمائة وثلاثين متر، التي لا تبعد عليه إلا 60 ميلا حتى في أيام الصيف نستطيع رؤية البحر من جبال مصب نهر تافنة، والتي تتميز بمناخ معتدل لأنها قريبة من البحر الأبيض المتوسط. أنظر/عبد الرحمان ابن خلدون، العبر، ج07، ص 102م. عبد الله محمد الزهري، كتاب الجغرافيا، تح محمد حاج الصادق، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ص 113. محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في تعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ج01، ص 27.

[3]كمال الدين أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 05. أنظر/ الملحق رقم 06، ص 126.

[4]حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 148.

[5]مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، ط1، ص176.

الأوسط من الفتح الإسلامي[1]، إلى غاية سقوط الدولة الموحدية سنة (608هـ/ 1212م) في معركة حصن العقاب، لتظهر القوى الثلاث في بلاد المغرب الإسلامي وهي الدولة الحفصية بالمغرب الأدنى ودولة بني عبد الواد الزيانية بالمغرب الأوسط والدولة المرينية بالمغرب الأقصى[2].

وبعد هذا الامتداد والتقليص للحدود الجغرافية تكاد تستقر الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط كما وصفها المتأخرّون بالوصف التالي: (ويلي إفريقية المغرب الأوسط – يمتد من وهران شرقاً إلى حدود مملكة بجاية غرباً ... ومن وادي نهر ملوية وممر تازة شرقاً إلى المحيط الأطلس غرباً حتى مدينة آسفى) فنستنتج من هذا القول أن المغرب الأوسط من بجاية إلى تاهرت شرقاً والبحر الأبيض المتوسط شمالاً ونهر ملوية وممر تازة غربا[3].

وتظهر صعوبة تحديد المجال القطري للمغرب الأوسط حتى لدى جغرافي الفترة الوسيطة فصاحب الاستبصار يعترف بأنّه من الصعب أن تحديد أبعاده بدقة، لكنه قدم لنا اجتهادًا استلهمه من سابقيه الجغرافيين، فحدود المغرب الأوسط محصورة حسبهم بين وادي مجمع إلى تازا وسواحل وهران ومليلة حتى مدينة تيزيل[4].

ويشير باحث آخر إلى تقليص جغرافية المغرب الأوسط في بعض الفترات نظرًا إلى التعدي على الحدود الشرقية التي تمتد من بجاية وتاهرت شرقاً إلى وادي ملوية وجبال تازا غرباً، "فيما بين مدينتي تلمسان وتازا التي تعد ممرا يربط بين ممر المغرب الأوسط والأقصى"، أي المغرب الأوسط يعتبر الجزائر حاليا، الذي تعددت عاصمته عبر تعاقب الدويلات فيه، في عهد الدولة الرستمية التي اتخذت عاصمتها تاهرت، أما في عهد الدولة الحمادية فقد

[1] حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 148.

[2] سمية نميش، المرجع السابق، ص 12.

[3] عباس نصر الله سعدون، دولة الأدارسة في المغرب، دار النهضة العربية بيروت، 1987 م، ص 16.

[4] عبد الله محمد الزهر، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ص176.

اتخذت عاصمتها مدينة أشير، وفي عهد دولة بني عبد الواد[1] اتخذت عاصمتها تلمسان ثم جزائر بني مزغنة وهي العاصمة الحالية[2].

وقد أفاد باحث آخر بأنّ حدود المجال الجغرافي لبلاد المغرب الأوسط يتمثّل في المنطقة التي تمتد من بجاية شرقاً إلى حدود واد ملوية غرباً ويحتوي على وسط الجزائر وغربه ومراكش حاليا، أما المغرب الأدنى من جهته الشرقية، الذي يحتوي على جزء من غرب الإسكندرية شرقاً، حتى بجاية غرباً، ومن بعض مدنه منها : شرق الجزائر حالياً وتونس وطرابلس وبرقة، أما من جهته الغربية يحده المغرب الأقصى، الذي يمتد من واد ملوية شرقاً حتى المحيط الاطلس غرباً، الذي يحتوي على بعض المدن منها : فاس ومراكش وسجلماسة[3].

ويبدوا أنّ هذا الباحث كان يشير إلى الحدود التي استقرّت إلى ما يقارب قرن من الزمان على هذا النّحو في أوجّ توسّع الدولة الحفصيّة غربا وإلى جنوب بلاد الزاب باتجاه الصحراء، لذلك يجب علينا أن ندرس علم الجغرافيا أو صورة الأرض أو صورة الأقاليم وعلم البرود أو علم العجائب البلاد وعلم الأنواء (المناخ) أو علم الهيئة الجغرافيا، أي أنها قطع أرض أو صورة أرض أو الخريطة[4]...الخ.

---

[1] بني عبد الواد: هم ينتسبون ويرجع أصلهم إلى زيان بن ثابت بن محمد من بني طاع الله، الذين ينتمون إلى بطون زناتة وكانوا يقطنوا ويسكنوا المناطق التي تجاور مدينة تلمسان وكذلك المناطق الصحراوية بالمغرب الأوسط أي الجزائر حالياً، فاندمجوا بداخل الموحدين وشاركوهم حمل السلاح وفتحوا معهم المناطق، حتى أن عاشوا معهم في الأوقات الصعبة والسهلة، حتى أوائل القرن (07هـ/ 13م) بدأ ضعف الدولة الموحدية، فانتهز بني عبد الواد هذه الفرصة، فمكنوا أميرهم يغمراسن بن زيان من اعتلائه عرش بني زيان في مدينة تلمسان، وصار أميراً عليها، ونهاية الحكم الموحدين في بلاد المغرب الأوسط بتلمسان. أنظر/ يحي ابن خلدون، بغية الرواد، ص ص198– 205.

[2] يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص 47.

[3] عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص 11.

[4] محمد محمود محمدين، التراث الجغرافي الإسلامي، دار العلوم، المملكة السعودية، 1999 م، ص 17.

ومن مدن المغرب الأوسط نذكر منها تلمسان وبجاية وسطيف وتاهرت[1]، التي وصفها صاحب الاستبصار بأنها مدينة عجيبة جميلة شديدة البرد كثيرة الثلج والأمطار والغيوم قال فيها هذه الأبيات الشعرية:

ما أصعب البرد وريْعانـه وما أظرف الشمــس بتاهـرت
تبدو من الغـام إذا ما بدت كأنـــها تنشـــــر من تـحــت
نفرح بالشمس إذا أشرقت كفرحـــــــة الذميّ بالسـبت[2].

ومن قبائل مدن المغرب الأوسط نذكر منها: زواوة التي تنحدر من كتامة للقرب منها، وسطيف[3] المدينة الجميلة وتيهرت التي كانت عاصمة الرستميين، وقسنطينة التي سكنها قبائل كتامة، وقلعة ابن حروب، التي تجاورها صنهاجة، ومدينة مرسى الدجاج القربة من أشير عاصمة الحماديين والزيريين، ومدينة افتس على نهر واولكس، وجيجل تسكنها قبائل كتامة، ومن هذا نستنتج أن المغرب الأوسط سكنته قبائل صنهاجة وكتامة[4].

يتميز المغرب الأوسط بمناخ باردً وقاسي في فصل الشتاء وحاراً جداً في فصل الصيف، فيصيبه الجفاف لمدة طويلة خلال فصل الصيف والخريف، كما يتميز بكثرة الأمطار في فصل الشتاء والربيع، لذلك نرى أن تساقط الأمطار مختلف من منطقة إلى أخرى مثلاً في المناطق الساحلية القريبة من البحر الأبيض المتوسط فمناخها معتدل ويتميز بتساقط الأمطار فيه وبأوقاتٍ منتظمة.

---

[1]أمين كرطالي، الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (09– 10هـ/15– 16م)، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، محمد بوركبة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية الحضارة الإسلامية ، جامعة وهران، الجزائر، 2013 / 2014م، ص 02.

[2]الزهري عبد الله محمد، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، المصدر السابق، ط1، ص 178.

[3]سطيف: (بفتح: السين وكسر الطاء المهملتين ثم ياء مثناة من تحت ساكنة بعدها فاء)، تأسست في بلاد المغرب الأوسط ضمن الإقليم الثالث، أما من حيث الأطوال، الطول 27 درجة، أما العرض 31 درجة فهي مدينة آمنة أزلية التي لا تبعد عن بجاية إلا أربع مراحل فتعتبر من المدن التي تحتوي على ثروة من الخضر والفواكه بسبب وفرة المياه. أنظر/ أبو العباس محمد القلقشندي، صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915م، ج05، ص 111.

[4]عبد الله محمد جمال الدين، المرجع السابق، ص19. أنظر/ الملحق رقم 06، ص126.

أما جنوباً في الصحراء فمناخها يتميز بارتفاع الحرارة وتذبذب وندرة تساقط الأمطار على مدار السنة، فهذا المناخ يؤثر على الحياة البشرية في نقص في المياه لشرب والسقي ... الخ، وكذلك في التساقط بكثرة فيحدث الجريان القوي في المناطق الصحراوية والوديان، إلى أن يمنع السير والحركة اليومية ونشاط الإنسان[1].

فكان الإنسان يعتمد في حياته اليومية على مياه الينابيع العذبة التي تخرج من الجبال أو البحيرات سواءً في المناطق الصحراوية أو المناطق الجبلية، التي يسقى منها المزارع والجنان[2]، في الفصول الجافة التي تكون فيها نسبة الأمطار متذبذبة، لذلك المناخ يكون له تأثير ما بين سلبي وايجابي على الكائنات الحية، فكان الإنسان يقوم بزرع أشجار النخيل في المناطق الصحراوية و يقوم بتربية المواشي التي ينتقل بها الرعاة من منطقة إلى أخرى للبحث عن الكلأ، أما في الساحل وضفاف البحر الأبيض المتوسط يغرس فيها الفواكه والخضروات[3].

شهد الغطاء النباتي للمغرب الأوسط خلال القرنين (07- 08هـ/13- 14م) تنوعا ثريا في ثرواته النباتية، منها الغابات الكثيفة والمياه الوفيرة والثلوج الدائمة والبرد الشديد[4] والتربة الخصبة والسماء الممطرة والمناخ المعتدل وشبهها العلماء بالطبيعة الباهية الجميلة ذات المنظر الخلاب[5]، ويرجع هذا لقرابته من خط الإستواء، والمطل على البحر الأبيض المتوسط، وحدوده الجنوبية عبارة عن سلاسل جبلية رملية صحراوية، وشمالًا جبال الأطلس التلّي التي بها أشجار المزركش والغابات الخضراء، التي بها أنهار ووديان[6]، والآبار والبرك التي تتواجد بحافة التلال والأنهار والوديان أي المصادر المائية السطحية وكذلك بحيرات[7].

---

[1] بشير رمضان تلسي، المرجع السابق، ص 28 .

[2] الزهري عبد الله محمد، كتاب الاستبصار في عجائب الامصار، تح سعد زغلول عبد الحميد، دار انشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1985م، ص 177.

[3] بشير رمضان تلسي، المرجع السابق ، ص 28 .

[4] حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 72.

[5] محمد علي دبوز، المرجع السابق، ج 3، ص 246 .

[6] محمد مبارك الميلي، المرجع السابق، ج 1 ، ص 47 .

[7] عرف أبوا الفدى: البحيرات من حيث أشكالها " ... البحيرة والبطيحة بمعنى واحد وهي المياه المجتمعة التي هي في القدر دون البحار ..." . أنظر /محمد علي الخفاف ومحمد أحمد عقيلة المومني، المرجع السابق، ص 82.

ومن بين الأشجار التي تنبت في المغرب الأوسط منها: الصنوبر، والصفصاف، والبلوط والخروب والعرعر والريحان والنعناع، وبالنسبة للحيوانات نذكر منها: الأرانب والضباع والأسود والقردة، أما المعادن منها: الذهب والفضة والألماس والزرنيخ والخيلدون والرخام والنحاس والرصاص والزنك والحديد والجبس والجير[1]، ومن منتوجات الخضر منها: الحمص والفول والأرز والعدس[2] والقمح والشعير وكلّ البقوليات والخضر والفواكه التي يقتات عليها الإنسان بصفة عامة[3].

نستنتج من خلال تتبعنا للمصادر التاريخية والمدونات الجغرافية وكتب النوازل الفقهية في ترسم حدود المغرب الأوسط، أن حدود بلاد المغرب الأوسط، تتغير عبر مرور الزمن دائمًا وتخضع للقوى أو الدولة التي تبلغ أوجّ قوّتها مستفيدة من الصراعات الداخلية للدولة الأخرى، ورغم هذه التغيرات لا زالت الحدود تقريبًا حدود الجزائر اليوم الحديثة، لكن رقعة المغرب رقعة واحدة ولهم نفس المكوّن البشري، أما التقسيم وضبط الحدود بين المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى كان قد نشأ من قوة استحكام الكيانات الثلاثة في بلاد المغرب الإسلامي والذين رسموا الحدود على حساب قوة كل دولة.

5.1 الإطار التاريخي للمغرب الأوسط خلال القرنين(7-8هـ/ 13-14م)

يتحدّد مصطلح المغرب الأوسط في الكتابات المعاصرة في كونه ظهر في أدبيات المصادر الإسلامية الباكرة التي كتبت خلال القرن الخامس هجري الموافق للقرن الحادي عشر ميلادي من أجل معرفة أقاليم المغرب الإسلامي.

1.5.1 الإطار التاريخي

فمن خلال معرفة هذه الرقع الجغرافية نستطيع التعرف على الأوضاع الحضارية لبلاد المغرب الإسلامي، فالمغرب الأوسط يمثل تقريباً الجزائر حالياً، الذي ابتدأ بعاصمته تاهرت[4]

[1] محمد مبارك الميلي، المصدر السابق، ج 1، ص 56.

[2] المصدر نفسه، ج 2، ص 483.

[3] حسن الوزان، المصدر السابق، ج1، ص 72.

[4] قال اللباب عن تعريفه لتاهرت: "بفتح: التاء المثناة فوق والألف وهاء وسكون الراء المهملة وفي آخرها تاء ثانية"، أما ذكر صاحب تقويم البلدان، ونقلت من خط ابن سعيد عوض الألف ياء مثناة تح: ت، فهذا هو الصحيح لأن ابن السعيد المغربي فاضلٌ. فهي مدينة تأسست في المغرب الأوسط في عهد الرستميين، وهي في

الرستمية التي كانت تعتبر عاصمة بلاد المغرب الإسلامي، واتخذ الحماديون عاصمتهم بجاية[1]، أما بنو زيان (بنو عبد الواد) اتخذوا تلمسان عاصمةً لهم[2]، فهم "ينتسبون إلى زيان بن ثابت بن محمد من بني طاع الله، وهم من قبيلة بني عبد الواد إحدى بطون زناته، وكانوا ينتجعون المناطق الصحراوية والجبلية المجاورة لتلمسان بالمغرب الأوسط (الجزائر حاليا)، وقد قاموا بمساعدة الموحدين عند فتحهم لتلك المناطق، فنالوا ثقتهم واقطعوهم عدة إقطاعات بمنطقة تلمسان وأحوازها، واستقروا بها من ذلك الوقت ولما تعرضت دولة الموحدين للضعف والانهيار في أوائل القرن (7هـ/13م) فاستغل بنو زيان الفرصة وتمكن أميرهم يغمراسن بن زيان من الاستقلال بتلك المنطقة (تلمسان) في (633هـ/ 1235م) مؤسسا بذلك دولة بني زيان أو دولة بني عبد الواد"[3].

أمّا الجزائر فلم تكن مدينة بعد فكانت منطقة صغيرة التي احتوتها قبيلة بني مزغنة، حتى أن أصبحت تدعى[4] جزائر بني مزغنة[5] التي عمرها المهاجرون الأندلسيون ومنهم

الإقليم الثالث حيث أن الطول خمس وعشرون درجة وثلاثون دقيقة والعرض تسع وعشرون درجة، أما قال العزيزي: "وتاهرت القديمة تسمى تاهرت عبد الخالق" فهي مدينة أزلية مرموقة تدعى غداد المغرب. أنظر/ أبي العباس محمد القلقشندي، المصدر السابق، ج05، ص 111.

[1]بجاية : "بكسر الباء الموحدة وفتح: الجيم وألف ثم ياء مثناة تحت وهاء في الآخر مدينة من مدن المغرب الأوسط"، التي تقع في الإقليم الرابع من بين الأقاليم السبعة، وقال ابن سعد: الطول اثنان وعشرون درجة مثل ما جاء في (تقويم البلدان) : "هي قاعدة الغرب الأوسط، وهي مقابل طرطوشة من الأندلس، وعرض البحر بينهما ثلاث مجارٍ". قال في (مسالك الأبصار)، "وهي مدينة قديمة مسورةٌ أضيف إلى جانبها ربضَ أدير عليه سور ضام لنطاق المدينة فصارا كالشيء الواحد . قال والربض في وطاءه، والمدينة القديمة في سفح جبل، ويدخل إليها خور من البحر الرومي تدخل منه المراكب إليها"، وبها نهر وعيون يشرب منها الإنسان والحيوان وسقي النباتات وبساتين حتى أن يصل هذا الماء إلى بحر الروم وبها مناظر خلابة. أنظر/ أبو العباس محمد القلقشندي ،المصدر السابق، ج05، ص 389.

[2]يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص 49.

[3]كمال الدين أبو مصطفى، المرجع السابق، ص ص05 – 06.

[4]حسن مؤنس، المرجع السابق، ص33.

[5]جزائرُ بني مزغنانْ تعريفها لغويا واصطلاحا: "بفتح: الميم والسكون الزاي وكسر الغين المعجمتين ثم نونان بينهما ألف الأولى منهما مشدّدة"، مثلما ذكر تقويم البلدان هناك من ينزع النون الأخيرة، أما في مسالك الأبصار قام بإضافة الهاء في الأخير "مَزْغِنَّانةُ"، فهي تعد بلدة حسنة على ساحل البحر الأبيض المتوسط، "تقابل ميورقة

التجار، وقبلها اهتم بها المرابطون في عهد يوسف بن تاشفين الذي بنى فيها مسجداً، ثم بعدهم ظهر الموحدون كقوة بارزة في المغرب الإسلامي فمدنوا هذه المدينة، وعند دخول الإخوة بربروس جعلوا منها قاعدة عسكرية ضد الإسبان، إلى أن أصبحت تدعى جزائر بني مزغنة، وهي القاعدة الثانية محل تاهرت وبجاية بعد تلمسان العاصمة الزيانية[1].

وفي مرحلة متأخّرة من الفترة الوسيطة رأى ابن الشماخ (ت873هـ / 1459م) أنّ يقسم بلاد المغرب الإسلامي إلى ثلاثة أقسام: منها القسم الأول بلاد المغرب الأدنى من الإسكندرية إلى طرابلس حتى إفريقية، أما بلاد المغرب الأوسط الذي جاء بحدودها التي تمتد من بلاد الزاب السفلى حتى مدينة تاهرت، حيث أكد بأن تشمل تاهرت حتى تلمسان، أما بلاد المغرب الأقصى من الجهة الغربية لتاهرت حتى مدينة سلا[2].

أما القاعدة الثالثة هي بجاية للمغرب الأوسط التي زارها بن بطوطة في أيامها التي أصبحت فيها المدينة تابعة للحفصيين، التي تعتبر من المراكز التي شاعت فيها أنوار العلوم وقدم إليها العلماء من كل مكان، فمدّنها الناصر بن علناس أكبر أمراء بني حماد من بني زير بن مناد الصنهاجي الذين خلفتهم الدولة الفاطمية على ملك المغرب واتخذوا مدينة أشير عاصمةً لهم[3].

ومدينة بجاية فلكيا تعد الجزء الأول من الإقليم الثالث للمنطقة الواقعة فوق خط الإستواء[4]، وكذلك من مدن المغرب الأوسط جيجل وبجاية والجزائر وتاهرت وشلف وبلاد الزاب وهي نقاوس ومقرة وطبنة وبسكرة ودار ملّول، والطرق التي تربط بين المدن عبارة عن أميال ومراحل، وتلمسان القاعدة الأساسية وعاصمة بني زيان، كذلك مدينة تاهرت التي اتخذها الرستميين عاصمة لهم[5].

من بلاد الأندلس، بانحراف يسير، وبعدها عن بجاية ستة أيام". أنظر/ أبو العباس محمد القلقشندي، صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915م، ج 05، ص 109.

[1] حسن مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، القاهرة، مصر، 2003 م، ص33.

[2] حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 148.

[3] حسن مؤنس، المرجع السابق، ص 33.

[4] أمين كرطالي، المرجع السابق، ص 03.

[5] حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 148.

ويوضح لنا محمد حسن لنا من حديث اليعقوبي عن قبيلة مطماطة التي ذاع صيتها في بلاد المغرب الأوسط، التي اتسعت غرب مدينة تاهرت وشمال غرب تلمسان والتي أسست مدينة إيزرج، وكذلك تحدث عنها البكري أنها مطماطة أمسكور بالمغرب الأقصى[1]، التي أصبحت تمثل مدينة كبيرة على نهر ملوية، وتميزت بالنشاط الاقتصادي الوفير ومنطقة استراتيجية للنشاط الفلاحي[2]، إذ يذكر ذلك ابن عذارى عن المغرب الأوسط وقال: (الذين أخذهم حسان من المغرب الأوسط قبله)[3].

وإلى ذلك يمكن لنا تحديد حدود مجالات بلاد المغرب من حديث عبد الرحمان ابن خلدون حيث قال: "المغرب قطر واحد ... فحده من الغرب البحر المحيط ... أما حده من الشمال فالبحر الرومي ... وأما حده من جهة القبلة والجنوب فالرمال الملتهبة ... إلى برنيق من بلاد برقة"[4]، فمن هذا التعريف نستطيع إعطاء حدود دقيقة لبلاد المغرب فهي التي تحدها مدينة برقة من الشرق، والصحراء الكبرى من الجنوب حسب مصطلحنا اليوم، والبحر الأبيض المتوسط شمالاً كما سماه المؤرخون والباحثون سابقاً ببحر الروم، والمحيط غرباً[5].

ورغم كل هذه التعاريف والتوصيفات المتعدّدة لم نستطع تحديد حدود المغرب الأوسط بدقة، لسبب تدافع الدويلات مع بلاد المغرب الأوسط، فهذه المنطقة في بعض الأحيان تمتد وتتوسع وفي حين آخر تتقلص على حساب قوة الدولة ونشأتها، كما أنّه في عهد الدولتين

---

[1] المغرب الأقصى (المغرب): يمتد المغرب الأقصى من واد ملوية وجبال تازا شرقاً إلى المحيط الأطلسي، الذي يشكل المملكة المغربية "موريتانيا"، فتعددت عاصمته على حساب تعاقب الدول ومرور الزمن، فالأدارسة اتخذوا فاس عاصمةً لهم، أما في عهد المرابطين والموحدين الذين اتخذوا من مراكش عاصمةً لهم، فأصبحت متنقلة بين فاس ومراكش، حتى إبان الإستعمار الفرنسي فاستقرت العاصمة في مدينة الرباط، "يعتقد عبد الحميد سعد زغلول أن لفظي: مغرب أوسط وأقصى ظهر ابتداءً من القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي ... سليمان أخاه ولاه على إفريقية والمغرب". أنظر/ يوسف بن أحمد حوالة، المرجع السابق، ص 49.

[2] محمد حسن، المرجع السابق، ص 11.

[3] ابن عذارى المراكشيّ، المصدر السابق، ج01، ص 43.

[4] عبد الرحمان ابن خلدون، العبر ودوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1431هـ/ 2009م، ص ص98 – 99.

[5] أمين كرطالي، المرجع السابق، ص 05.

الأموية والعباسية لم تتضح تسمية المغرب الأوسط فهناك تداخل في المصطلحات، أما في عهد دولة الأغالبة في المغرب الأدنى والدولة الرستمية في بلاد المغرب الأوسط والدولة الإدريسية في بلاد المغرب الأقصى، بدأت تتضح هنا ملامح التسمية للمغرب الأوسط وحدوده التي تمتد وتتقلص جزئيا على حساب القوى العسكرية والسياسية المحيطة، حتى في عهد الدولة الفاطمية (297- 567هـ/ 909- 1171م) لم تكن الحدود واضحة، ومع الدولتين الزيرية والحمادية اتضح مصطلح المغرب الأوسط وحدوده بقسميه الشرقي والغربي[1].

فمصطلح المغرب الأوسط إذن اتخذته الدولة الإسلامية عندما لم تستطع تفرقة مناطق المغرب، وكذلك مع الدولة الزيرية مما أفاد به القلقشندي في معرض حديثه عن تأسيس الدولة الزيرية قال: (وكان بلكين بن زيري صاحب إفريقية قد غلب على الغرب الأوسط سنة (369هـ/ 979م))، ثم قال: (واستولى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على العدوتين الأندلس والغرب الأقصى والغرب الأوسط)، ثم قال: (فملكه سنة (551ه/ 1156م)، واجتمع له إفريقية والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى والأندلس)، أمّا الونشريسي صاحب المعيار فقال: (أما عدم هذا الوصف وهو التبريز في العدالة، أو عزته في المنتصبين في الشهادة ممن أدركنا من عدول المغرب الأوسط وأقصى فغير بعيد)، أما تلمسان كانت تحتوي المغرب الأوسط كلها[2]، التي كانت أنا ذاك قاعدة بني عبد الواد، ومن مدن المغرب الأوسط تلمسان وبجاية وتاهرت وقسنطينة وسطيف[3].

ويتضح لنا من الاطّلاع على قدر غير يسير من أمهات الكتب التاريخية والجغرافية أن مصطلح المغرب يشمل المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى وهذه التقسيم لم يكن معروفا مع بداية الفتح الإسلامي وبداية تأسيس الدويلات الإسلامية في بلاد المغرب

[1] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص 35.

[2] حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 161–164. أنظر/ الملحق رقم 05، ص 125.

[3] حسن مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، المصدر السابق، ص 33.

الإسلامي، بل بدأت تسمية المغرب الأوسط تتبلور مع عهد الدولة بني زيري ودولة بني حماد فمن هنا بدأة تتأسس وتستقر وتظهر الحدود الواضحة لبلاد المغرب الأوسط[1].

وقد قدم لنا عبيد الله البكري بعض مدن المغرب الأوسط مثل: مذكر أفزُونة ومتيجة وسطيف وبعدهم بمرحلتين إلى المسيلة والخروج منها إلى غدر وارّوا التي سكنها بنو يغمراسن كذلك هوارة ووهران وتلمسان[2]، فكانت تلمسان تعد مملكة ثالثة من ممالك بلاد البربر التي كانت تسمى موريطانيا القيصرية، فكانت مملكة فاس تحدها من الجهة الغربية ويفصلهما نهرين، نهر زير يخرج من جبال زناكّة، أما النهر الآخر هو نهر ملوية يخرج من الأطلس الكبير، أما شرقا يحدها إقليم إفريقية حتى بجاية، فمملكة تلمسان احتوت بجاية وجزائر مزغنة وتنس حتى أن أصبحت في أيادي الأتراك[3]، فكان جزء منها الجنوبي أرضه جافة محدبة، أما تلمسان وشمالها فهي أراضٍ غنية بالقمح والمراعي تنتج فواكه كثيرة، لكنها في فصل الشتاء باردة[4].

وذكر تلمسان ووصفها بأنّها : (مدينة مسورة في سفح جبل شجرة الجوز ولها خمسة أبواب ثلاثة منها في القبلة باب الحمام وباب وهب وباب الخوخة وفي الشرق باب العقبة وفي الغرب باب أبي قُّرة ... وبها بقية من النصارى إلى وقتنا هذا ... وجلبوا إليها الماء ... وهي قاعدة المغرب الأوسط ... ومقصد لتجار)، وبأنّه نزلها من الصلحاء (محمد بن سليمان بن عبد الله بن حسن بن على بن أبي طالب ... تلمسان دار للعلماء والمحدثين وحملة الرأي على مذهب مالك بن آنس رحمه الله ... جنوب قلعة منيعة ... إلى مدينة نيزيل ... إلى مدينة أرشقول)[5].

---

[1] سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح: إلى بداية عصر الاستقلال، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2003م، ج1، ص 48.

[2] أبي عبد الله البكري ت (487هـ/ 1094م)، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، دار الكتاب الإسلامية، القاهرة، مصر، ص 76.

[3] مارمول كربخال، إفريقيا، تر محمد حجي، دار المعارف الجديدة، الرباط، 1989م، ج02، ص 291.

[4] حسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص ص73 – 74.

[5] أبي عبد الله البكري (ت 487هـ)، المصدر السابق، ص 76 - 77 .

أما مدينة الجزائر فتتوسط مدن شمال إفريقيا ويحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، وتتميز بسلاسل جبلية منها سلسلة الأطلس التلّي وجنوبا الأطلس الصحراوي[1]، فوصفها ابن زكور الفاسي الجزائر بمغانيها وجمالها الباهر (التي غصّ ببهجتها كل عدوّ كافر، فلذلك يتربصون بها الدوائر، في الموارد والمصادر، ويرسلون عليها صواعق لم تعهدْ في الزمن الغابر، أبر أني من غليلي ووجدي ما عاينته من روائها العسجدي، وبحرها اللاّزوردي، إذ هي كما قيل):

بلدٌ أعارتهُ الحمامةُ طوقهاَ وكساهُ حلَّةَ ريشِهِ الطَّاوُوس

ما شئت من حدائق، كالنمارق، وقصور نوع المحاسن عليها مقصور، والذي أعارها ذلك المرأى الجميل، وأصارها فضيّة الصباح عسجدية الأصيل، وألحفها بهجة وإشراقاً[2].

6.1 المجتمع لسكان المغرب الأوسط

لا تزال الدراسات الاجتماعية في بلاد المغرب الأوسط رهينة التأثيرات الأيديولوجية التي أرادت التحكّم في طابع الدراسات الاجتماعية ذات الطابع الانثروبولوجي والاثني، لذا توجّهت الدراسات المعاصرة في الجامعة الجزائرية إلى اعتماد مقاربات جديدة تؤسس لملامح مدرسة تاريخية تعيد بعث التاريخ الوطني في جميع فتراته خاصة الفترة القديمة منها بداية من عصور ما قبل التاريخ

1.6.1 التركيبة البشرية للمغرب الأوسط

يجب على الباحث الذي يريد إطراق مواضيع تتعلّق بأصل إنسان هذه الأرض عليه أن يعتمد على المصادر القديمة وعلى المعطيات الأثرية وعلى المادة الحفرية ليتمكّن من إعادة رسم صورة الماضي كما وجدت لا كما يريدها الباحثون الموجّهون من مدارسهم الفكرية المؤدلجة أن تكون[3].

[1] سيرى الجوهري، جغرافية البحر المتوسط، دار المعارف بالإسكندرية، مصر، 1984م، ص 276.

[2] ابن زاكور الفاسي (ت 1120هـ/ 1708م)، رحلة المسماة نشر أزهار البستان فمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكبار الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص 40.

[3] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص 38.

نجد في كتابة المؤرخ اليوناني هيرودوتس دراسة حول سكان شمال إفريقيا حيث قال: (إن القبائل اللوبية التي تسكن بلاد مصر وبرقة تسمى أسبوط وتتاخمها في الغرب منها نحو الصحراء قبائل أوسخير ... وتوجد بجهة فزان قبائل الغرامانت ... وبين خليج قابس قبائل ماغ...)، وكذلك بعض المؤرخين والجغرافيين كانت لهم كتابات تلمس الطابع البشري في شمال إفريقيا، مثل: نيقولاس الدمشقي وأرتيميدورس الرهاوي عن البربر، لكن وصلتنا منهم بعض الإشارات فقط[1].

في حين قدم أهل بلاد العرب إلى بلاد المغرب الأوسط فاستوطنوا هذه المناطق واندمجوا مع البربر وقبائل شمال إفريقيا، لسبب تقارب نفس الظروف المعيشية لسكان شبه الجزيرة العربية مع نمط معيشة ساكنة شمال إفريقيا، إذ كان العرب يعتمدون على الرعي والتنقل في البوادي وكذلك وجد سكان المغرب لهم نفس نمط العيش في الجانب الحضاري، و هي القراءة التي توصّل إليها عبد الرحمان ابن خلدون في مقدمته بالتفصيل عن حياه العرب والبربر وتعايشهم في بلاد المغرب الأوسط وتقبلهم فكرة الاندماج معهم، رغم أنه كانت هناك بعض الصعوبات في البداية مع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب[2].

كذلك العنصر البشري في بلاد المغرب الأوسط نفسه العنصر البشري في بلاد المغرب الأقصى وهذا راجع إلى الرابط الجغرافي المتمثل في تقارب وتلامس بلاد المغرب الأقصى مع بلاد المغرب الأوسط، والمسافة القريبة، حيث كانت البلاد في القديم تسمى بلاد إفريقيا ثم بلاد المغرب الإسلامي ثم شمال إفريقيا بعدها انقسمت إلى ثلاثة بلدان و كلّ هذا في إطار وحدة بشرية، أما الرابط التاريخي الذي يجمع بينهم فقد تكوّن في الفترة القديمة على إثر مقاومة الاستعمار القديم ثم توطّد عشية الفتح الإسلامي لما أصبحت رقعة جغرافية واحدة وسكنها العرب و البربر جنبا إلى جنب ، أما الرابط البشري بين القطرين فيعود إلى أنّ القبائل التي استوطنت بلاد المغرب الأوسط هي نفسها التي استوطنت بلاد المغرب الأقصى، من حيث هجرة القبائل إلى شمال إفريقيا وتوسعا على كل المناطق، ومن حيث الوحدة الفقهية والفكرية نجد أنّ

[1] المرجع نفسه، ص 38. أنظر الملحق رقم 07، ص127.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة و سهيل زكار، ط01، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001م، ص 150. أنظر الملحق رقم 05، ص125.

الفتاوى والنوازل نفسها في شمال إفريقيا، مثل الونشريسي والمازوني والبرزلي وابن الحاج وغيرهم من الفقهاء[1].

تحدث محمد أمين بوحلوفة عن عبد الرحمان ابن خلدون في مقدمته بالترتيب والتدقيق في أصول البربر من حيث السكان والقبائل والبطون الذي قسمهم إلى قسمين هما: "أهل وبر" هم "سكان الخيام"، "وأهل مدر سكان بيوت"، فإذا عدنا إلى المؤرخ غوتيه الذي نقل عنه بوحلوفة فجاء بقسمين، القسم الأول: بتر هم البدو والرحل، القسم الثاني هم الحضر سكان المدينة، نقل محمد أمين بوحلوفة عن ابن خلدون قال: البربر هم قسمان: أحدهم مادغيس الذي لقب بالبتر، والأخر برنس نسله البرانس، وأبوهم أب واحد، لهذا نستطيع القول أن البتر: "بنو لوا، نفزاوة، نفوسة، ضريسة، أما البرانس: أوربة، صنهاجة، كتامة، مصمودة، وكزولة أو جزولة[2].

رغم كل هذه التغيرات التي طرأت على أهل بلاد المغرب الأوسط أي البربر لم تغير طابعهم الحضاري وطابعهم المعيشي، فعندما حل العرب في بلاد المغرب اندمجوا مع أهل البلاد وعاشوا مثلهم في شتى المجالات، وحاكوهم في عاداتهم وتقاليدهم وفي شجاعتهم وكرمهم حتى أن الدّارس لتاريخ بلاد المغرب لا يكاد يفرّق بين السكّان من البربر ولا من العرب لشدّة اندماجهم وتماثل أنماط معيشتهم ووحدتهم.

وإذا عدنا إلى الجانب الديني والفقهي الذي شهد توسعًا وانتشارًا داخل بلاد المغرب الأوسط في العصر الوسيط، لسبب خصوبة بلاد المغرب الأوسط لزرع الثقافة المشرقية العربية فيها حيث تبلورت فكرة التأليف والكتابات الفقهية والنوازلية ونشر المذهب المالكي هنا، إلى أن أصبحت بلاد المغرب الأوسط ملاذا يستقبل الفرق والمذاهب الفارّة من المشرق مثل: تأسيس الدولة الرستمية وفقا مرجعية المذهب الإباضي في تاهرت بالمغرب الأوسط، والدولة الأغلبية في القيروان على المذهب المالكي، والدولة الإدريسية في المغرب الأقصى على المذهب العلوي، والدولة الصفرية في سجلماسة (تافيلالت) على المذهب الصفري، والأمويين في بلاد المغرب الأوسط على المذهب المالكي والحنفي ومذهب سفيان الثوري الذي زال، وظهور الشيعة الفاطميين والمعتزلة والخوارج، وانتشار الفتن، إلى أن عاشت هذه المنطقة

[1] عمار بن خروف، العلاقات بين الجزائر والمغرب (922– 1069هـ/ 1517-1659م)، ليلى الصباغ، مذكرة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1403هـ/ 1983م، ص ص335، 337، 340.

[2] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص 38. أنظر الملحق رقم 06، ص126.

صراعات وفتن، ورغم هذا بدأ التأليف الفقهي النوازلي المالكي وغيرهم، فاعتمد أهل بلاد المغرب الأوسط على الأسئلة والأجوبة من طرف الفقهاء المالكية وغيرهم لحل المشاكل المتعلقة بهم.

فمن الفقهاء نذكر البعض منهم مثل: الفقيه الونشريسي صاحب المعيار والفقيه البرزلي صاحب جامع مسائل الأحكام والفقيه المازوني صاحب الدرر المكنونة في نوازل مازونة وابن الحاج صاحب المدخل، كذلك أصحاب المذهب المالكي كابن الفرات في المغرب الأوسط والصقلية وابن حزم في الأندلس وغيرهم من الفقهاء، وأصحاب المذهب الشافعي والحنبلي والحنفي، الذين اعتمدوا على الفتاوى من خلال أسئلة أهل المغرب لهم والإجابة من طرف هؤلاء الفقهاء الذين تمسكوا بالفقه النوازلي، ومن بعض النوازل سواء حدثت أو لم تحدث قبل، واهتمت تلك الفتاوى بمعالجة قضايا الزراعة والنشاط الفلاحي وكل نشاطات السقي وتقسيم المياه والإنتاج الفلاحي والبيوع والعقود والزواج وكل ما يتعلق بالجانب الاقتصادي والمعاملات وقضايا الأسرة والشركات، فكان الفقه النوازلي مثل القضاء اليوم الذي يحل مشاكل المجتمع، ويعمل على إنصاف الناس في حقوقهم.

.2
الأوضاع الحضارية للمغرب الأوسط خلال القرنين (6-9هـ/ 12-15م)

شهدت بلاد المغرب الأوسط الكثير من التغيرات خلال العصر الوسيط بسبب ظهور الحوادث الطبيعية التي غيرت موازين قوى الدولة الزيانية والتي نتجت عنها جوائح بشرية، فتارةً تكون البلاد على استقرار وفي بعض الأحيان تسودها الفتن والحروب وتتكالب الدول عليها، منهم الدولتين المرينية والحفصية والدول الأوروبية، إذ أربكت هذه القلاقل والتدخّلات الحياة المعيشية لأهل بلاد المغرب الأوسط، وكان للجوائح الطبيعية (الزلازل، القحط، الفيضانات، الثلوج الكثيفة، الرياح العاتية، الصقيع، الجراد والحيوانات المفترسة والأمراض والأوبئة غيرها من الجوائح الأخرى) دور كبير في الأزمات التي عرفها المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط.

وإذا كانت الجوائح الطبيعية قد أفسدت الحياة البشرية بالمغرب الأوسط وهدّدت استقرارها، ونتج عنها وفيات لا حصر لها، فإنها كانت سببا مباشرًا للقتل والحرابة والسرقة والاحتكار والاختلاس، ونهب أموال الناس بالباطل والتطاحن على السلطة داخل البيت السياسي زادها تأثيرًا تكالب الدول الخارجية عليها من كل جهة.

1.2 الأوضاع الاجتماعية والدينية

يختلف مجتمع المغرب الأوسط من حيث تركيبة البنية الاجتماعية، مثل ما تختلف في المجتمعات الأخرى في الغرب الإسلامي وببلاد المشرق، منها عنصر البربر الذي كان منتشرًا ببلاد المغرب الأوسط منذ ما قبل الإسلام.

1.1.2 الأوضاع الاجتماعية

إن العنصر البربري هم السكان الأصليون، مثل قبائل زناتة الذين سكنوا بلاد الصحراء وجبال المغرب الأوسط، حتى أصبحت تلمسان عاصمة بني عبد الواد، وكذلك بني عمومتهم من القبائل الأخرى، ومن القبائل العربية التي استوطنت بلاد المغرب الأوسط[1]، في ظروف تاريخية متباينة وعلى مراحل لا يسع مجال البحث لاستعراضها، والذين تحالفوا مع عرب بني زغبة، وجعلتهم زناتة عصبية قبلية واحدة، لذلك نستطيع القول أن المجتمعات التي سكنت المغرب الأوسط هي مجتمعات أمازيغية وعربية مشرقية متحدة فيما بينها[2].

لقد تأسّست البنية الاجتماعية للساكنة على أساس قبلي متلاحم، وكانت الأسرة نواته الأولى وكانت تهتمّ وتحرص على حث أفرادها على التعليم وطلب العلم، وأخذ العلم والفتيا عن الفقهاء والشيوخ الذين تحصلوا على الإجازة العلمية من مشايخ كبار في العلم، ولم يكتفوا بالأدب وعلم الكلام والفقه فقط بل تعلموا الرياضيات والفلسفة وعلم الفلك، وكانوا حريصين على التمسّك بالديانة وإتباعهم لفقهائهم[3]، حيث أنهم كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فيما بينهم والتنبيه على ضرورة الامتناع عن الكسب الحرام وكل المحرّمات وعلى الاعتماد على الكسب الحلال والتجارة الجائزة وعلى ضرورة معرفة أمور الصلاة والمحافظة عليها وأماكن إقامتها وغيرها من الأمور الدينية الإسلامية المشرعة من الله سبحانه وتعالى ومحمد صلى الله عليه وسلم[4].

وإذا شئنا محاكاة الحياة المجتمعية للساكنة فبين أيدينا إشارة باكرة من ابن بطّوطة في رحلته التي قام بها إلى المغرب الأوسط، والذي دون كل ما شهِده من أحوال الناس من حيث المعيشة والأمان الذي ساد الدولة الزيانية التي كانت عاصمتها تلمسان، والذي نظر

---

[1] نورالدين غرداوي، المرجع السابق، ج01، ص 27. أنظر الملحق رقم 05، ص125.

[2] نبيل شريخي، دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع هجري (14- 15ه)، رسالة ماجستير في تاريخ المشرق والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2009 – 2010 م، ص ص26 – 27 .

[3] حسن الوزان، المصدر السابق، ط 02، ج 01، ص 85.

[4] أبي الأصبع عيسى بن سهيل بن عبد الله الأسري (ت 486ه/ 1093م)، الإعلام بنوازل الأحكام المعروف الأحكام الكبرى، تح: نورة محمد عبد العزيز التويجري، دار بلد، 1995، ج01، ص 745.

في أحوال دار الإسلام والدنيا من شتى جوانبها، فرأى العجائب والغرائب في حياة الناس ونشاطهم اليومي[1]، إلى أن وصل قسنطينة مع رفاقه في يوم نزل فيه المطر فتبللت ملابسهم وهم نائمون في كوخٍ، فرأى الجود والكرم من أهل قسنطينة[2] في هذه الحالة، (فنظر حاكم المدينة –وهو من الشرفاء الفضلاء– إلى ثيابي وقد لوثها المطر، فأمر بغسلها في داره، وكان الإحرام منها خلقاً، فبعث مكانه إحراماً بعلبكياً، وصرَّ في أحد طرفية دينارين من الذهب، فكان ذلك أول ما فتح عليَّ به في وجهتي)[3].

فمن بين عاداتهم وتقاليدهم التي وقف عليها خروج النساء يوم المناسبات وفي أيام الزواج والولادة إلى الحمامات الخاصة بهم، وفي بعض الأحيان يذهبن إلى الحمامات الخاصة بالنساء في النهار والرجال في الليل، وكنّ يرتدين ألبسة نقية وجميلة وأنيقة، مثل ما تميز به الرجال في لباسهم من نوعية جيدة يلبسها سكان الحضر، أما سكان البوادي فتميزوا بلباس خشن وجميل مصنوع من الصوف والكتان، والأغنياء يلبسون لباسا من القطن والحرير والكتان والصوف ذو نوعية رفيعة وجلود الأغنام العسلية[4].

يعتبر القرن (07هـ/ 13م) من أسوء القرون، حيث تميز بالأزمات ووصف بقرن الكوارث، حيث أتى فيه الطاعون الأسود الذي اجتاح بلاد المغرب الأوسط وأوروبا ابتداءً من سنة (749هـ/ 1348م) بعد أن توفي ثلث سكان المغرب الأوسط، فهذا الوباء تحدث عنه الفقهاء والباحثين من أنّه يولد من المجاعة المفرطة التي كانت دائما تظهر بعد الجفاف، فانحباس المطر يتسبب في المجاعة وظهور الوباء يعني أنها جوائح طبيعية مترابطة، مثل مجاعة سنة (303–305هـ/915–917م) وسنة (776هـ– 778هـ/1374–1376م) لأن المجاعة دامت

---

[1] حسن مؤنس، المرجع السابق، ص31.

[2] قُسطينة: جاء في تقويم البلدان، (بضم القاف وسكون السين وكسر الطاء المهملتين وسكون المثناة من تحتُ ثم نون وهاء) مما جاء عند بعض المؤرخين المتأخرين أن قبل الطاء وبعد السين نوناً وفي بعض الأحيان ضم السين وسكون النون، التي أصبحت مدينة أزلية من المغرب الأوسط في أواخر الإقليم الثالث، أما ابن سعد قال إن الطول ستُّ وعشرون درجة وأربعون دقيقة، والعرض ثلاثُ وثلاثون أما في تقويم البلدان (وهي على آخر مملكة بجاية وأولِ مملكة إفريقيةَ. أنظر/ أبي العباس محمد القلقشندي، المصدر السابق، ج 05، ص 110.

[3] حسن مؤنس، المرجع السابق، ص 34 .

[4] نبيل شريخي، المرجع السابق، ص 33.

حوالي ثلاث سنوات[1]، فكانت الجثث متناثرة في كل مكان وكثرة الموتى، وخلف هذا الوباء خسائر كثيرة، لم تسلم منها الحيوانات، لذلك سمي بالطاعون الجارف.

وقد وصفه عبد الرحمن بن خلدون بقوله: (... نزل بالعمران شرقا وغربا في منتصف هذه المائة الثامنة من الطاعون الجارف، الذي تحيف الأمم، وذهب بأهل الجيل وطوى كثيرًا من محاسن العمران ومحاها، وجاء لدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها، فقلص من ظلها وفلّ من حدّها، وأوهن من سلطانها)[2].

وكانت بلاد المغرب الأوسط من بين البلدان التي تعرضت للمجاعة في كل زمن خاصة خلال القرنين (07-08هـ/ 13-14م)، فهذه المجاعة كانت سببًا من بين الأسباب التي خلّفت الوباء.

فمن هذه الأسباب التي جعلت الوباء متركزًا في هذه المنطقة نجد أنّها تنشأ عن النزوح الخارجي إلى المنطقة واللعب بالتراب والأوساخ ومن عدم النظافة واختلاط الناس بالحيوانات وغيرها من الأسباب، أما الأمراض التي كانت من داخل بلاد المغرب الأوسط فمنها: مرض البلعوم المتمثل في التهاب الحلق والذبحة والنزلة الصدرية والدماميل والأورام والقرحة وصداع الرأس ومرض المعدة والأمعاء وألم النسا ومرض الزهري وداء الفرنج ومرض الدماس الذي قتل السلطان عثمان بن يغمراسن سنة (703هـ/1203م)، ومرض النقرس وأمراض الخرانيق ومرض القولنج، والأمراض النسائية والتوليد[3].

ومن الأمراض التي تحدث عنها حسن الوزان في بلاد المغرب الأوسط نذكر منها: القرع الذي يصيب الرؤوس، وصداع الرأس، وألم الأسنان، وألم المعدة والقلب، والإسهال المعوي، وعرق النسا، ومرض النقرس الذي يمس الملوك لشربهم الخمر، والجرب والسعال، وداء

[1] خالد بالعربي، المجاعات والأوبئة في تلمسان في العهد الزياني(697- 845هـ/ 1299- 1442م)، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، دورية كان التاريخية - العدد الرابع - يونيو 2009، ص 20.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون، المقدمة، ص ص42-43. أنظر الملحق رقم 03، ص 123.

[3] عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية، رغاية، الجزائر، 2002، ج01، ص ص243 -245.

الإفرنج الزهري، والقرحة المعدية، والبرص، ومرض انتفاخ الخصيتان، ومرض الأعصاب والمس بالجن، ودمل الطاعون، والوباء[1].

أما الأمراض والعيوب التي ذكرها الونشريسي في تأليفه المعيار كثيرةً منها: (الجنون، والجذام، والبرص، والفالج، والقطع، والشلَل، والعمي، والعور، والصمم، والخرس، وبياض العين، والحدب، ...، والبول في الفراش، ...، والظفرة، والفتل في العين أو إحداهما، ...، وسواد الأب)[2].

رغم هذه الأمراض والوباء الذي لازم أهل البلاد وقتل العباد، فقلّ من نجى من هذه الجوائح المتكررة على مدار السنة أو التي تأتي في بعض الأحيان، فأهل بلاد البربر أو بلاد المغرب الأوسط ذات بنية قوية مقاومة لأي خطر جائر عليهم، وكان معدّل أعمارهم يتراوح ما بين 65و70 عاما وسكان الجبال الذين كان منهم من يصل عمره إلى مائة عاماً، وتميز شيوخهم بالقوة والصلابة حتى نافسوا الشباب في الحروب والقتال والمصارعة، أما سكان نوميديا فتميزوا بسقوط أسنانهم لسبب كثرتهم لأكل التمر وإضاعة بصرهم لسبب زوبعة الرمال المتكررة في جل الأوقات[3].

إضافة إلى ذلك نسجّل بعض الأمراض المتعلقة بالدواب والحيوانات وهي في نفس الوقت يراها الإنسان عيوب تمسّ بصحّة الحيوانات والأنعام يجب ذكرها عند البيع والشراء وعقد الشركات والإجارة وغيرها نذكر منها مما ذكره الونشريسي وهي: (فالنفار في الفرس إذا كان مفرطاً، والحران، وقلة الأكل والانتشار وهو انتفاخ العصب والشظر وهو عظّم ناتئ في الذراع، والجرد، ...، وتبذير العلف، والغامد ذكره، ...، وفي الأضحية توجد بعد ذبحها عجْفاء اضطراب)[4].

إن بلاد المغرب الأوسط تعرضت للعديد من الجوائح الطبيعية علاوة عن المجاعات والأوبة التي تعرضت إليها تلمسان في العهد الزياني كذلك العواصف البردية الشديدة والرياح العاتمة القوية التي أتلفت المحاصيل الزراعية وقتلت البهائم والإنسان لشدتها،

[1] حسن الوزان، المصدر السابق، ط 02، ج 01، ص ص83- 84-85. أنظر الملحق رقم 04، ص124.

[2] الونشريسي، المصدر السابق، ج 06، ص ص48- 49. أنظر الملحق رقم 1، ص121.

[3] حسن الوزان، المصدر السابق، ط 02، ج 01، ص82.

[4] الونشريسي، المصدر السابق، ج 06، ص ص49- 50. أنظر الملحق رقم 1، ص121.

فكانت هذين الجائحتين تظهر في جل أوقاتها في فصلي الربيع والخريف، فهذه الرياح القوية دائما تأتي بالبرد القارس والجليد الدائم الذي أتلف المحاصيل الزراعية وأحدث المجاعة مثل مجاعة سنة (776ه/1374م) بالمغرب الأوسط[1].

وأضاف ابن خلدون مبيّنا تأثير الوباء على السّاكنة (...وتداعت إلى التلاشي والاضمحلال أحوالها، وانتقص عمران الأرض بانتقاص البشر، فخربت الأمصار والمصانع، ودرست السبل، والمعالم، وخلت الديار والمنازل، وضعفت الدول والقبائل، وتبدّل الساكن، وكأني بالمشرق قد نزل به مثل ما نزل بالمغرب الأوسط، لكن على نسبته ومقدار عمرانه، وكأنما نادى لسكان الكون في العالم بالخمول والانقباض فبادر بالإجابة)[2].

وقد دام أثر الوباء لسنين طويلة ذلك أنّه تمكّن ما بين سنتي (747-748ه/ 1346 - 1347م) فانتشر هذا الوباء المسمى بالطاعون الجارف الذي فتك بالناس[3]، وقد راح في جرائه خلق كثير، حيث توفي جراء هذا الوباء الجارف أناس تناثرت جثثهم في كل مكان[4]، فهذا الوباء الجارف انقرضت منه جماعات كثيرة منهم عائلة التفريسي سنة (750ه/ 1349م)[5]،حيث هلكوا منه وباءت أنفسهم بالبؤس والكراهية من خوفهم من الموت الموجود في كل مكان[6].

اعتمد أطباء وأهل بلاد المغرب الأوسط على بعض الأدوية لهذه الأمراض منها: الدواء المستخرج من النباتات واللقاح والفصد، واستعملوا الأشربة والغرغار والأدهان والفلفل والتبوع والبتوع اللبد والعشاري وحب الزنم وحب العروس ومرق الشربة بالدجاج والحجامة وشراب الأرجوان، فهذه الأدوية كانت تقدم في بيمارستان المدينة أو مستشفيات

[1] خالد بلعربي، المرجع السابق، ص20.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون، المصدر السابق، ص406.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص251.

[4] أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، 2008، ص50.

[5] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص252.

[6] أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، 2008، ص50.

القرى وتعالج فيه المرضى بهذه الأدوية، وهذه المستشفيات كانت تعالج فيها أهل البلاد وكذلك الغرباء الذين يتقدمون إليها من بلدان أخرى[1].

فمن بين الأطباء الذين اشتهرُوا في بلاد المغرب الأوسط نذكر البعض منهم: "أبو القاسم محمد بن أبي القاسم الحكيم التلمساني، أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة التلاليسي، محمد بن على بن قشوش، موشى بن صمويل بن يهود الإسرائيلي، وأبي إسحاق إبراهيم بن محمد التلمساني الثغري الطبيب، والفقيه الصالح محمد بن يوسف السنوسي، الفقيه أبي الفضل المشذالي التلمساني، أبو عبد الله المالقي المتطبب، داوود عبد الله البغدادي والتلمساني، الفقيه أبو الفضل محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان"[2].

ومن بين هذه الجوائح التي مست بالكيان المجتمعي و بالغطاء النباتي في بلاد المغرب الأوسط، الآفات الحشرية منها الجراد الذي كان ينتقل من بلاد الهند إلى بلاد المغرب الأوسط على شكل أسراب متتالية سرب تلوى الآخر، حيث قضى على الأخضر واليابس وأكل المحاصيل الزراعية التي كان أهل بلاد المغرب الأوسط يعتمدها كمصدر غذائي أولي، فتوالى هذا الجراد على البلاد عاما تلو الآخر مثل سنة (624هـ/1227م) ثم سنة (630هـ/1233م) إلى غاية القرن (09هـ/15م) يأتي حوالي كل أربعة سنوات[3].

ومن بين الجوائح الطبيعية الأخرى نذكر: الجفاف والمجاعات والقحط والزلازل والأعاصير والجراد وغيرها من الجوائح الطبيعية التي حلت ببلاد المغرب الأوسط، ومنها: غلاء الأسعار والجفاف وانتشار الجراد والقحط الذي ضرب سنة (617هـ/ 1220م)، والجراد الذي حلّ بالبلاد سنة (624هـ/ 1227م)، والغلاء سنة (630هـ/ 1233م)، ومجاعة عظيمة سنة (776هـ/ 1374)، ففي ظل هذه الأحداث البائسة فتحت الدولة مخازنها أمام مواطنيهم مثل ما كان يفعله جل حكام الدولة الزيانية، أما الفقهاء والأئمة والعلماء ينشرون الراحة والاطمئنان في نفوس الناس بأنها ستنتهي هذه الأزمات وتعود البلاد إلى طبيعتها وتقديم كل المساعدات

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص246.

[2] المرجع نفسه، ص ص247 – 250.

[3] خالد بالعربي، المرجع السابق، ص21.

للناس أجمعين، أما الأطباء فكانت مهمّتهم تتمثّل في البحث عن الأدوية واللقاح للخروج من هذه الأزمات[1].

ورغم هذه الأسباب الموضوعية التي تقف وراء التدهور الظرفي للاقتصاد الزراعي إلاّ أنّ الدراسات الاستشراقية وخاصة الفرنسية منها تصرّ على أنّ تدهور الاقتصاد يعود إلى آثار الهجرة الهلالية إلى بلاد المغرب وتأثيرها المباشر في تحوّل الاقتصاد من اقتصاد زراعي منتج إلى اقتصاد رعوي يكبح تنوّع الإنتاج ويعيق حركية الاقتصاد فيرى إ ف قوتييه Geutier E.F أن هجرة وانتشار قبائل بني سليم وبني هلال في بلاد المغرب الأوسط هي التي تقف وراء حالة التردّي الاقتصادي وتأخّر العمران وانكسار المدنية والحضارة[2].

2.1.2 الأوضاع الدينية

رغم صعوبة وارتباك المشهد السياسي فقد شهد النصف الثاني من الفترة الوسيطة في بلاد المغرب الأوسط حالة من التديّن لدى السكان سواء من العامة أو من طبقة العلماء والفقهاء والوجهاء وخيرة القوم، تشهد بذلك المدوّنات الفقهية والنوازلية وكتب المناقب وسير الصلحاء والفقهاء والمتصوّفة من أمثال كتاب "البستان" لابن أبي مريم وكتاب "عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية"، و"طبقات المشائخ" بالمغرب للدرجيني وغيرهم من المصادر التي تدل على شيوع هذا المنحى التعبّدي وهذه النزعة الروحية في فقه تزكية النفس التي شاعت و تنافس في إدراكها طبقات الشيوخ و العلماء.

وقد شهدت الفترة الثانية من الفترة الوسيطة تنافسا كثيفا لظهور المدونات الفقهية والنوازلية في بلاد المغرب الأوسط خصوصًا والغرب الإسلامي عمومًا، وشهد حركة تبادل سلس للفتاوى ومختلف المعارف الدينية التي زاد من سهولتها استقرار الفقه التشريعي الذي يعتمد على المذهب المالكي كأساس مرجعي ثابت مستقر موحد لكلّ بلاد الغرب الأوسط.

عاشت بلاد المغرب الأوسط وضع ديني فيه بعض الاختلاف من منطقة أو مدينة إلى أخر، على حسب تركيبة السكان بها وأصلهم، فمن بعض المظاهر نذكر ظاهرة ذبح الدجاج

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص254. أنظر الملحق رقم 03، ص123.

[2] E.F.Gautier, Le passé de l'Afrique du nord , petite bibliothèque payant, Paris, 1952 ,p 368.

في يوم مميز عندهم وهو يوم عاشوراء، وكذلك احتفالهم بعيد الفطر وعيد الأضحى، وعندهم ليلة السابع والعشرين من شهر رجب يعتبرونها ليلة الإسراء والمعراج[1].

2.2 الأوضاع الفكرية والثقافية

تعتبر تلمسان ذات مركز إشعاع علمي وهي مركز عاصمة الدولة الزيانية، التي تشبعت بالعلوم من بلاد المشرق العربي الإسلامي وبلاد الأندلس، فكانت الثقافة والعلم على قدر مهمّ من الازدهار في بعض الأحيان تبعا السلطان الذي يحقق الأمن والاستقرار، لأن الحكام الزيانيين مدينة كانوا يهتمون بالعلم والعلماء.

1.2.2 الأوضاع الفكرية والثقافية

كان أهل مدينة تلمسان وحكامهم يوقرون ويوفرون لعلمائهم مكانة تليق بهم، وفي بعض الأحيان تنتشر الحروب والصراعات مع الدول المجاورة والمسيحية التي تخلف سلبيات منها توقف العلم لسبب ابتعاد العلماء عن طلب العلم وقتل العلماء وحرق كتبهم وقتل طلبتهم[2].

فيذكر لنا حسن مؤنس من مدونة ابن بطوطة من خلال رحلته مظاهر الرقي الفكري والثقافي لبلاد المغرب الأوسط بداية من منتصف الفترة الوسيطة، وتحدّث عن بناء المساجد والزوايا والكتاتيب والربط ونزول الفقهاء والعلماء من بلاد الأندلس والمغرب الأقصى والمغرب الأدنى والمشرق إلى تلمسان إلى أن أصبحت حاضرة علمية، وذلك كله بفضل أبا تاشُفين عبد الرحمان بن موسى بن عثمان بن أبي يحيى يغمراسن بن زيان من أجل تبريره لمقتل أبيه موسى بن عثمان، وكذلك قام بترميم وتجديد جامع يوسف بن تاشُفين الذي يعرف بجامع تلمسان[3].

ومما جاء عند حسن مؤنس من حديث ابن بطوطة والذي قدما لنا صورة عن المكانة العلمية لتلمسان أنه وفد على تلمسان رجلان أرسلهما أبي يحيى بن أبي ضربة بن أبي زكريا بن اللّحيان أمير الدولة الحفصية، الذي أصبح خليفة على الدولة الحفصية بعد تدهور

[1] نبيل شريخي، المرجع السابق، ص33. أنظر الملحق رقم 02، ص122.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع، السابق، ج01، ص319.

[3] حسن مؤنس، المرجع السابق، ص32.

الأوضاع في عهد أبيه وجده، ففي الفترة التي حكمها ازدهرت وقويت شوكته بعد انتصاره على لويس العاشر حاكم فرنسا، فهذان الشخصان منهما فقيهٍ وقاضٍ من رفقة ابن بطوطة، فعند وصولهم إلى بجاية نزل القاضي عند قاضي البلد أما الفقيه نزل في بيت أحد الفقهاء، أما ابن بطوطة فترك وحده إلى أن أصابته الحمى فذهب لزميله القاضي أبي عبد الله الزبيدي الذي كان تاجراً[1].

3.2 الأوضاع السياسية والعسكرية

شهدت بلاد المغرب الأوسط الكثير من التغيّرات السياسية والعسكرية والحضارية المتباينة بين الاستقرار حينا وبين حال الّا أمان في حالات أخرى، فمنذ مرحلة متقدّمة من تاريخ المغرب الأوسط وفي النصف الأوّل من العصر الوسيط انتهجت الدولة العبيدية سياسة التغلغل في بلاد المغرب الإسلامي من أجل القضاء على دولة الأغالبة في القيروان والدولة الرستمية في المغرب الأوسط بتاهرت سنة (296هـ/ 908)، ثم جاء دور الدولة الإدريسية بالمغرب الأقصى في مدينة فاس سنة (311هـ/ 923م)، التي اندثرت بعد وفاة الحسن بن كانون أخر ملوكها سنة (375هـ 985م)، فمحت الدولة العبيدية أثرهم في بلاد المغرب الإسلامي حتى أن وصل نفوذها إلى بلاد الأندلس.

1.3.2 الوضع السياسي والعسكري

وبعد هذه الفتن تظهر الملوك والسلاطين والأمراء من العصبية القبلية من المصامدة وصنهاجة مثل ما أفاد به ابن الخطيب (776هـ/ 1374م) (وكانت الريّاسة من صنهاجة إلى الأمير زيري بن منّاد، وكان أوّل من ظهر منهم بالمغرب الأوسط، فقاد الجيوش وعقد الألوية وخطب له على المنابر، وهو الذي بنى مدينة أشير وإليه تنسب)[2].

وقد أفاد ابن خلدون عبد الرحمان في جملةً شاملة توصّف السياسة العامة في بلاد المغرب الإسلامي أنّه (صار ملك المغرب بعد الأدارسة لبني أمية بعد الأندلس، فولّوه بني خزر المغرويين من زناتة القطر المغربي، فتوارثوه إلى أن قتل المرابطون تميم بن معصر سنة

[1] المرجع نفسه، ص32.

[2] حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص150.

(461هـ/ 1068م)، فانقرضت به أيام بني خزر من المغرب، وصار ملكه لمتونة ومن بعدهم صار ملكهم للموحدين)، إلى أن نشأت الدولة الزيانية في المغرب الأوسط في تلمسان[1].

وأصبحت تلمسان عاصمة للدولة الزيانية في بلاد المغرب الأوسط بعد أن دام الصراع بين بني مرين وبني زيان لمدة طويلة التي أدت إلى عدم الاستقرار الأمني والسياسي والاقتصادي خاصة في مدينة تلمسان[2]، ففي العهد الزياني الذي كان من (633هـ- 962هـ/ 1235م- 1554م) دارت أحداث كثيرة سبقت هذه الحقبة وأفضت إليها، مثل: معركة العقاب (609هـ/ 1212م) التي كانت في الأندلس العدوة التي شهدت حروبا صليبية باكرة أثّرت في بلاد المغرب عموما بسبب الارتباط الحضاري الوثيق لكياناتها السياسية سلبا وإيجابا.

ومن هذا الحدث الذي جعل ضعف دولة الموحدين واعتلائها حكام ضعفاء وولّو بني عبد الواد على تلمسان، فعندما حكم جابر بن يوسف عم يغمراسن تلمسان، أعلن الولاء والطاعة للمأمون خليفة الموحدين، ففي سنة (627هـ/ 1229م) أصبح بني عبد الواد سادة تلمسان وبداية تأسيس دولتهم، وبعد وفاة جابر بن يوسف خلفه إبنه الحسن فسارت الأمور إلى أن آل الحكم إلى أخيه عثمان (630هـ- 631هـ/ 1233- 1234م)، ثم انتقل الحكم إلى ابن عمه زيدان بن زياد سنة (631هـ- 633هـ/ 1234- 1235م)، ثم إلي يغمراسن (633هـ/ 1235م)، فقام بجعل تلمسان إمارة له على حساب دولة الموحدين التي ضعفت شوكتها[3].

نشأت الدولة الزيانية على حساب الدول الموحدية بعد أن كانت الدولة الموحدية متوسعة بقوتها من برقة شرقا وتخوم أوروبا شمالاً وبلاد الأندلس غرباً وبلاد الصحراء جنوبا، التي حمت الإنسان والدين الإسلام وبيت المقدس، إلى أن دارت الأحداث لغير صالحها بداية

---

[1] المرجع نفسه، ص 151- 152.

[2] أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 43.

[3] رحيمة بوساق، دور المكتبات في نشر العلوم بالمغرب الأوسط تاهرت الرستمية (2- 3هـ/ 8- 9م) وتلمسان الزيانية (8- 9هـ/ 14- 15م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2017 – 2018م، ص ه و.

من (609هـ/ 1212م) معركة العقاب[1]، حتى سنة (633هـ/ 1236م) التي أصبح أبو يحي يغمراسن حاكم على بلاد تلمسان، ودارت الكثير من الأحداث والحروب بين الموحدين وبني عبد الواد بقيادة يغمراسن، حيث أن القبائل التي ساندت بني زيان هم: بني وسين، أولاد منديل، كومية، بني يلومي، بني مانو، بني تغرين، هوارة، وازداجة، بني ورنيد، وجديجين وقبائل بني هلال[2]، فبعد مساندة هؤلاء القبائل سارت الأمور لصالح يغمراسن، وفي بعض الأحيان تعود الأمور بالسلب عليه، إلى أن توفي يغمراسن سنة (681هـ/ 1284م) بوادي شلف مليانة، وهو في استقبال خطيبة إبنه بنت السلطان أبي إسحاق إبراهيم الحفصي، فولى بعده إبنه أبي سعيد عثمان بن يغمراسن الذي اشتهر باستخدام نظام الجاسوسات في البلاط المريني، ورغم هذه السياسة التي انتهجها فقد أربكت قوّته المضايقات من المرينيين وشنّوا عليه العديد من المعارك وحاصروه لمدة من الزمن[3].

يذكر الفقيه ابن مرزوق الخطيب أن الحروب الدائمة في بلاد المغرب الأوسط بمدينة تلمسان على دولة بني زيان في سنة (698هـ/ 1298م) كانت سببا في انتشار الرعب والخوف والجوع وغلاء الأسعار لسبب الحروب والحصار الذي دام عليها مدة طويلة، (فكانت مدة هذا الحصار الأكبر والخطب الشديد ثماني سنوات وثلاثة أشهر وخمسة أيام، بلغ فيها عدد موتى أهل تلمسان قتلاً وجوعًا وزهاء مائة ألف وعشرين ألف، وثمن صاع قمحهم إلى دينارين وربع الدينار، وصاع شعيرهم إلى نصف ذلك)[4]، فنذكر بعض تواريخ المعارك التي انهزم فيها الزيانيين من طرف المرينيين.

شنّ السلطان أبي يعقوب يوسف بن يعقوب المريني عدة حروب ضد بني زيان في مدينة تلمسان فالمقاومة الأولى سنة (689هـ/ 1290م)، والثانية سنة (695هـ/ 1296م) والثالثة سنة (696هـ/ 1297م) والرابعة سنة (697هـ/ 1298م) والخامسة (698هـ/ 1299م)[5].

---

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص13.

[2] المرجع نفسه، ص17.

[3] المرجع نفسه، ص24.

[4] أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني ، المصدر السابق، ص 46. أنظر/ الملحق رقم03، ص123.

[5] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج01، ص 27.

نرى في قول عبد الرحمان ابن خلدون ومن كتاب المناقب المرزوقية آثار الحروب والحصار على مدن المغرب الأوسط وخاصة مدينة تلمسان، والتي زاد من تدهور الأوضاع فيها توالي الخوف وانتشار والجوع حيث يذكر: (فكان ثمن مكيال القمح الذي يسمونه البرشالة ويتبايعون به مقداره اثني عشر رطلا، نصف مثقالين ونصف من الذهب العين، وثمن الشخص الواحد من البقر ستين مثقالاً، ومن الضأن سبعة مثاقيل ونصف)، لذا يدل قوله على أن الحصار الذي شنّه بني مرين على مدينة تلمسان جعل الناس يأكلون الجيفة ولحم البغال والحمير والقطط والفئران حتى أنهم أكلوا لحم الموتى منهم، حيث غلت الأسعار وقلَّ الغذاء وضاقت أحوالهم[1].

وبعد هذه الحملات العسكرية المرينية على مدينة تلمسان، والحصار الطويل عليها هلكت حوالي مائة وعشرين ألف نسمة حتى سنة (703هـ/ 1303م) توفي فيها السلطان التلمساني عثمان بن يغمراسن، بعد أن تولى ابنه أبي زيان عثمان الذي قاوم في هذا الحصار الغاشم المدمر الهالك الذي أكل فيها سكان تلمسان الجيفة وأشلاء بعضهم البعض حتى سنة (707هـ/ 1307م) التي تم فيها فك الحصار بتلمسان لسبب مشاكل السلطة في مراكش إلى أن عاد يوسف بن يعقوب المريني إلى مراكش، و بدأ أبو زيان وأخوه أبي حمو في ترتيب الدولة من جديد إلى أن توفي أبو زيان في شوال سنة (707هـ/ 1307م)[2].

فبسبب هذه الحروب التي نشبت بين الزيانيين والمريين والحفصيين التي دامت لسنوات، نتج عنها الدمار والخراب والتخلف والجوع الذي يخلف الأمراض والوباء على ممر هذه الحروب القائمة بينهم، ففي هذه الحالة يتوقف الناس عن النشاط الفلاحي من مزارع وبساتين، التي تمثل المصدر العيش الأولي المعتمد عند أهل بلاد المغرب الأوسط، مثل الحملات التي قادها الحاكم المريني الملقب بأبي سعيد عثمان بن يعقوب بين سنتي (710 – 731هـ)[3]، التي كانت نتيجة الخلاف الذي كان بينه وبين أبي حمو موسى الأول الحاكم الزياني خليفة أخوه أبي زيان الذي توفي سنة (707هـ/ 1307م)، فحكم الدولة الزيانية 11 سنة بين سنتي (707– 718هـ)، وانهزم فيها السلطان المريني على مشارف تلمسان، ومن

[1] أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 46.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج01، ص 28.

[3] خالد بالعربي، المرجع السابق، ص 21.

هذه الحروب نتجت مجاعة دامت لسنوات من احتكار السلع والتوقف عن الفلاحة والغلاء المنتشر في الأسواق وفرض الضرائب والجبايات على المواطنين من أجل رفع قواعد الدولة وتسريح العمال من المزارع ودور الحرف وتوقف تجارتهم لفقدانهم لسلع والخوف في الطرق التجارية[1].

تعتبر سلطة أبي حمو موسى الأول (707– 718هـ/ 1307- 1318م) النقطة الحاسمة وبداية المرحلة الجديدة التي دخلتها الدولة الزيانية من هدوء وأمن واستقرار، بسياسته المهادنة بينه وبين السلطان أبي ثابت عامر المريني (706– 708هـ/ 1306– 1308م) من أجل بناء وتشييد الدولة الزيانية، فأعاد البلاد إلى قوتها واستقرارها واسترجع أملاكه الشرقية حتى بجاية والغربية حتى نهر ملوية، فوسع بلاده وجهز دولته حتى سنة (718هـ/ 1318م) غدره إبنه العاق أبو تاشفين الأول عبد الرحمان بن أبي حمو فقتله ودفنه في القصر القديم ثم عقد البيعة وولي على قومه[2].

بعد أن سار الرحالة ابن بطوطة من أجل التجول وتحرير أوضاع المجتمع الإسلامي، الذي كان في يوم (الخميس 02رجب 725هـ/ 05جوان 1326م) خرج هو وأصدقائه مع قافلة الحجاج، فتوقف عند بني عبد الواد أو بني زيان الزناتيين الذين اتخذوا تلمسان عاصمة لهم، فقاموا بالسيطرة على الجزء الغربي الذي يمتد من نهر ملوية إلى مدينة وهران للمغرب الأوسط، وهذه الأسرة العريقة التي استطاعت أن تحكم من سنة (633– 956هـ/ 1236-1550م) حوالي ثلاثة قرون وربع، التي حكمها موسى بن عثمان بن أبي يحيى بن يغمراسن بن زيان، إلى أن تمكن ابنه أبا تاشُفين عبد الرحمان أبي حمو موسى بن عثمان بن أبي يحيى يغمراسن بن زيان من قتله، فاستولى على العرش بالمكيدة المدبرة منه لأبيه سنة (718هـ/ 1318م)[3].

ورغم هذا الاستقرار لمدينة تلمسان وفي بعض الأحيان تتدهور الأوضاع لسبب الحروب الناشبة بينها وبين الدويلات المجاورة لها منها الدولتين الحفصية والدولة المرينية وكذلك الجوائح الطبيعية التي عكّرت مسار الدولة الزيانية إلى النهوض كقوة والاستقرار الدائم

---

[1] المرجع نفسه، ص 21.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج01، ص ص40– 41.

[3] حسن مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، ص 31.

والثابت لها، فحدودها دائما في تقليص وامتداد، أما جهتها الغربية التي أثبتها قائدهم يغمراسن، أما الجهة الشرقية فحاصرها كل من يغمراسن وأبي حموا الأول وابنه أبي تاشفين الأول إلى أن استحوذوا على كل المدن حتى مدينة تونس، وفي عهد زعيمهم أبي تاشفين (718- 737هـ/ 1318- 1337م) الذي قام بالعديد من المقاومات وكانت أراضي دولته في حالة توسع وتقلص إلى أن تراجعت الحدود إلى مدينة بجاية[1].

فعندما نستنطق هذه الأحداث التاريخية التي دائما يذكر فيها الصراع داخل الأسرة الزيانية والصراع الخارجي الذي يقع بين الدولة الزيانية والعدو المجاور لها المتمثّل أساسا في الدولتين الحفصية والمرينية وتكالب الدول الأوروبية عليهم، فهذه الصراعات التي نتج عنها الفشل وعدم الاستقرار والخوف والمجاعة والحصار الذي طرأ على مدينة تلمسان من طرف الحفصيين والمرنيين، فقلّص حدود المغرب الأوسط، ففي سنة (731هـ/ 1331م)، تربع أبو الحسن بن أبي سعيد المريني على عرش الدولة المرينية، مع بني حفص أصهاره، وأهل بني زيان أعدائه، الذي يهدد الكيان الزياني ويطالب أبا تاشفين الزياني من إيقاف الحصار على الحفصيين، لكن لم يخضع له أبا تاشفين وضل الحصار عليهم وهاجم المرينيين من جهة أخرى[2].

ففي هذه الفترة دام الصراع والحرب بن المرنيين والزيانيين لمدت طويلة والحصار الذي دام 30 شهراً على تلمسان حتى سنة (737هـ/ 1336م)، فقتل أبا تاشفين وأولاده ووزرائه داخل عاصمته في (27رمضان 737هـ/ 11ماي 1337م) من طرف أبي الحسن السلطان المريني بعد أن قتل أخيه ثم جاء لحصار تلمسان، ثم حكم تلمسان بنو مرين لمدة 12 سنة، ففي هذه الفترة استغل أبي الحسن المريني ابن سعيد وابن ثابت ابني عبد الرحمان ابن يغمراسن في فتح تونس إلى أن كان الفتح التام لتونس سنة (748هـ/ 1347م)، حيث ترك ابنه أبو عنان نائبه على تلمسان[3].

عاشت تلمسان حصارًا من طرف المرين حتى سنة (749هـ/ 1348م) استعاد فيها أبا ثابت وأبا سعيد سيادة الدولة الزيانية كما فعله أبي حمو موسى الثاني سنة (760هـ/

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج01، ص 44.

[2] المرجع نفسه، ج01، ص 45.

[3] المرجع نفسه، ج01، ص ص46-47.

1359م) من استرجاع ملك آبائهم[1]، فواصل أبو الحسن المريني الفتح في تونس فثار عليه أحمد بن عثمان بن أبي دبوس سنة (750هـ/ 1349م) الذي انظم إليه أبو ثابت وأبو سعيد فهزم جيش أبو سعيد وقتل، فعاد أبو عنان ابنه إلى فاس بصفته الوريث الشرعي لأبيه، وعاد الأميران مع جموع من الزيانيين إلى مدينة تلمسان فقاتلوا المرينيين في طريقهم حتى انتصر الزيانيين على المرينيين وعينوا أبا سعيد أميرا لهم[2].

أما أبا ثابت فقد عيّن قائدا عليهم حيث هزم عسكر الناصر بن أبي الحسن في شلف سنة (751هـ/ 1349م) وأخضع كل القبائل، وأعاد هيبة الدولة الزيانية واستقرارها سنة (752هـ/ 1351م) عاد أبا ثابت إلى تلمسان بعد أن أخضع كل القبائل المناوئة والمعارضة لحكمه وحكم أخيه أبا الحسن، حتى سنة (753هـ/ 1352) تغيرت الأوضاع[3]، بعد أن توفي أبي سعيد السلطان الزياني في معركة بوجدة سنة (753هـ/ 1352م) من طرف السلطان المريني أبو عنان، أما أبو ثابت فقد فرّ من المعركة إلى المغرب الأوسط من أجل تجمع القبائل عليه وتكوينه جيش من جديد، فبقي حوله أبو زيان محمد بن سعيد وأبي حمو موسى الثاني و وزيره يحي بن داود، ففرو إلى بلاد تونس فتلقوا العديد من العراقيل والمشاكل في طريقهم حين وقعوا في أسر السلطان الحفصي فقتل أبا ثابت و وزيره[4].

رغم كل الصعوبات التي تلقاها أمراء الزيانيين إلاّ أنّ أبي حمو موسى الثاني شكل جيشه مع السلطان الحفصي، وبعد عيد الفطر سنة (759هـ/ 1358م) عاد إلى بلاد المغرب الأوسط، ففي يوم الأربعاء ثمان من ربيع الأول سنة (760هـ/ 1359م)، دخل السلطان أبو حموا مدينة تلمسان وعاد لحكمه وعادت البلاد لحريتها فحكم حوالي 30 سنة، الذي قام بالعديد من المعارك ضد المرنيين[5].

أفاد ابن فضل الله العمري ت (749هـ/ 1348م) أن مملكة بجاية ومملكة تدلس وكذلك من مدن المغرب الأوسط، شرشال وملیانة وهذا التوصيف يدلّ على عظمة المدنية

---

[1] المرجع نفسه، ج01، ص 19.

[2] المرجع نفسه، ج01، ص 48.

[3] المرجع نفسه، ج01، ص 50.

[4] المرجع نفسه، ج01، ص 51.

[5] المرجع نفسه، ج01، ص 55.

وقوّة حضارتها المادية والثقافية، أما ابن خلدون فيدقّق في حالة التدافع التي ميزت العلاقات ما بين القبائل لمّا أخبرنا عن النفاق السياسي للقبيلتين "رياح وزغبة" التي كانت تسبب الصراع داخل البيت الزياني بين أبي حمّو وابن عمه أبي زيان الذي وصفهم(ونجم النفاق في سائر أعمال المغرب الأوسط)، كذلك قال (واشتعل المغرب الأوسط نارًا)[1]، فكانت الفتنة داخل البيت الزياني بكل أشكالها من قتل وتفكيك إلى أن وصل بهم الأمر إلى الحرب والحصار الذي أدى إلى ضعف الأهالي وإيذائهم ونهب وسلب خيراتهم، وحرق مزارعهم وانتشار الخوف والجوع في أوساطهم[2].

ومن سنة (760هـ/ 1359م) إلى غاية سنة (764هـ/ 1363م) كانت هذه السنوات تمثّل الفترة الأولى من عهد أبي حموا الثاني الذي تحدث عن اعتلائه حكم تلمسان إلى أن ألقى عليه القبض السلطان المريني الذي أدلى بكلامه (فكان من رأيه تفريق أولاده في البلاد ... فكان من قواعد المغرب الأوسط منهم من كان، وفي مغربنا الأوسط منهم اثنان، أحدهما بالجزائر والآخر بتلمسان)[3].

لقد أثرت هذه الأوضاع والظروف السائدة في بلاد المغرب الأوسط على الحياة البشرية، والتدخل الحفصي والمريني على بني زيان في تلمسان مما أدى إلى عدم الاستقرار حيث دام الصراع بين أبي حمو موسى الثاني وأبن عمه أبي زيان بن سعيد خلال فترة الممتدة بين (762-783هـ/ 1360- 1381م)[4]، وقد جاء في كتاب ابن حجر العسقلاني: أنّ (أبي فارس المريني بن أبي الحسن بن أبي سعيد بن أبي يحيى البربري) الذي انتقل من مدينة فاس إلى أن وصل إلى مدينة مراكش فقتل أبا الفضل ثم قتل عامر بن محمد المتغلب بفاس في سنة (771هـ/ 1369م)، ثم انتقل إلى مدينة تلمسان فقاتل وحاصر أبي حمو الثاني، إلى أن استولى على ملك المغرب الأوسط وسيطر على الثورة والخوارج وقرب من العرب، إلى أن توفي في رباطه

[1] حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 150 .

[2] أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني ، المصدر السابق، ص 43.

[3] حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 150 .

[4] أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 44.

شهر ربيع (772هـ/ 1370م)[1]،لأن دور القبائل العربية سبب الفوضى بعد أن ضعفت السلطة المركزية التي تكالبت عليها الدول المجاورة لها[2].

بعد هذه الثورات دخلت الدولة الزيانية في مرحلة ضعف، وكان سببها وفاة أبو حمو الثاني تحت يد أنصار ابنه أبو تاشفين عبد الرحمان الثاني الذي استنصر المرنيين على أبيه، فقتله في معركة بتلمسان سنة (791هـ/ 1388م)، فمن هذه المرحلة تربع أبو تاشفين على عرش الدولة الزيانية وأصبح يخضع لسلطة المرينيين بدأت مرحلة الضعف والهيمنة المرينية على تلمسان، فدامت هذه المرحلة حوالي قرن و واحد وسبعون سنة من (791- 962هـ/ 1388- 1554م)، فعلم أخوه أبو زيان بن أبو حمو الذي كان بمدينة الجزائر فأتى إليه وحاصره بدون جدوى ثم اتّجه إلى المرنيين لينافس أخاه أبو تاشفين، حينها قدموا له المساعدة عندما علموا بأن أبي تاشفين خلع الولاء لهم، في سنة (795هـ/ 1393م) شنّ على أخيه حملة مجهزة وقوية بمدينة تلمسان[3]، فعلم أبو زيان بوفاة أخيه أبو ثابت فتكالب الأبناء على السلطة وكانت من نصيب أبو الحجاج يوسف بن أبي حمو المشهور بابن الزابية (795- 796هـ/ 1393- 1394)[4]، ففي هذه السنة دارت صراعات على السلطة وكانت القوة للمرنيين فأزاحوا أبو الحجاج يوسف واستولى عليها أبو فارس المريني سنة (796هـ/ 1394م)[5].

واعتقلوا أبي زيان ابن أبي حمو الثاني إلى أن توفي سلطانهم بفاس فعاد ولي العهد المريني إلى مدينة فاس لاستلام العرش المريني وخلف أبي زيان الزياني على عرش تلمسان الزيانية سنة (796هـ/ 1395م)، لكن أخاه أبا الحجاج كان له بالمرصاد وأطاح به من العرش الزياني، فكان أبي الزيان ذي حنكة وسياسة فحرض عليه قبائل العرب الملتفة عليه فقتلوه وبقي

[1] حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 156.

[2] أبي عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني ، المصدر السابق، ص 43.

[3] إسماعيل بركات، الدرر المكنونة في نوازل مازونة أبو زكرياء يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني (883هـ/ 1478م)، عبد العزيز فيلالي، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وأثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009 – 2010، ص 02.

[4] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج01، ص ص66 – 67.

[5] بركات إسماعيل، المرجع السابق، ج01، ص 02.

الجو هادئا لأبي الزيان سنة (797هـ/ 1396م)، فحكم البلاد وأسّس دولة قوية وخلع التبعية للمرنيين[1].

يذكر الشيخ أبي العباس محمد القلقشندي صاحب الصبح الأعشى، (وهي الآن بيد بني عبد الوادِ من زناتة من قبائل البربر – والقائم بها الآن منهم إلى حدود الثمانمائة من الهجرة هو السلطان أبو زَيَّان، ابن السلطانِ أبي حمُو: موسَ بن يوسُفَ، بن عبد الرحمان، بن يحيى، ابن يغمراسِن، بن زيَّان، بن تابت، بن محمد، بن ركدار، بن تيدوكس، بن طاع الله، ابن على، بن القاسم، بن عبد الواد)، ومن هذا القول يوضح لنا نسب بني عبد الواد الذين أسسوا الدولة الزيانية[2].

فعندما علم المرينيون بقوة وجشع أبي زيان في السلطة حرضوا أخاه أبي محمد عبد الله بن أبي حمو الثاني وأمدوه بالمال والسلاح والعتاد وأرسلوه لإزاحة أبي زيان أخوه على حكم الدولة الزيانية، فشنّ أبي محمد حصار على تلمسان وطرد أخوه إلى المناطق الشرقية سنة (801هـ/ 1400م)، حيث أن السلطان المريني أرسل وراءه محمد بن مسعود الذي اغتاله وقتله سنة (805هـ/ 1404م)[3]، وأصبحت الأجواء لصالح المرنيين في بلاد تلمسان ينزعون ويرفعون الحكام إلى السلطة كما يشاءون، فعزلوا أبي محمد عبد الله بن أبي حمو (801هـ-804هـ/1399-1403م) وسجنوه في فاس و وضعوا أخوه أبا محمد المعروف بابن خولة مكانه سنة (804هـ/ 1403م)[4]، الذي جلب الهدوء إلى البلاد تحت ظل السلطان المريني إلى أن وفته المنية سنة (813هـ/ 1411م)، فاعتلى العرش ابنه عبد الرحمان الثالث لمدة سنة من الزمن فخلعه عمه السعيد ابن أبي حمو الثاني وتولى العرش سنة (814هـ/ 1412م)، وفي هذه الأوضاع خرج أخوه أبو مالك عبد الواحد من السجن وأطاح بأخيه وتولى الحكم سنة (814هـ- 827هـ)[5].

---

[1] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج01، ص 68.

[2] أبو العباس محمد القلقشندي، صبح الأعشى، دار الكتب السلطانية، القاهرة، 1915م، ج07، ص 385.

[3] نورالدين غرداوي ، المرجع السابق، ج01، ص 24.

[4] إسماعيل بركات، المرجع السابق، ج01، ص 02.

[5] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج01، ص ص68 – 69.

فالسلطان أبو مالك عبد الواحد الزياني استطاع تسيير شؤون الدولة الذي حكم 30 سنة وأعاد للدولة هيبتها، حتى سنة (827هـ/ 1424م) تدخل أبو فاس عبد العزيز الحفصي في شؤون الزيانيين، إلى أن خلع أبو مالك و وضع أبي عبد الله محمد المدعو بابن الحمراء (827- 831هـ/ 1424- 1428م) مكانه ثم انتقل إلى فاس للإطاحة بسلطانهم[1]، فسارت الأوضاع باستقرار حتى سنة (831هـ/ 1428م) حيث ظهر فيها أبي مالك عبد الواحد بن أبي حمو للمرة الثانية (831- 833هـ/ 1427- 1429م)، ثم ولاية أبو عبد الله محمد المدعو بن الحمراء للمرة الثانية (833هـ/ 1429م)، فعاد القائد رضوان إلى تلمسان وطرد ابن الحمراء وعاد إلى سلطته من جديد، فقتل هذا الأخير وحل محله القائد رضوان الذي عين أبو العباس أحمد المعتصم بن أبي حمو الثاني الذي سمي بالعاقل على تلمسان سنة (834هـ/ 1430م)، بعد أن توفي صاحب ملك مدينة تلمسان الذي كان صاحب المغرب الأوسط وهو أحمد بن أبي حموا العبد الوادي في شوال سنة (839هـ/ 1435م) في ضل حكمه للدولة الزيانية[2]، فأعاد إبنه أبو العباس قوه وهيبة تلمسان، وأسس الدولة وخلع تبعيته للحفصيين الذين حكموا حوالي 32 سنة، وسار في عدة مقاومات ضد إخوته وأبناء عمه حتى سنة (866هـ/ 1461م) نفي إلى بلاد الأندلس، فعاد بجيش إلى تلمسان فوجد أبي عبد الله محمد المتوكل على السلطة فقاتله إلى أن سقط العاقل قتيلا ففسح المجال للمتوكل في السلطة على الدولة الزيانية[3].

وسارت هكذا الأحوال إلى أن وافت المتوكل المنية سنة (873هـ/ 1436م)، بعد أن حل محله أبي تاشفين الثالث (873هـ/ 1436م)[4] وأصبح التلاعب بالسلاطين الزيانيين من طرف الحفصيين، حيث وضعوا مكان أبي تاشفين الثالث (873هـ/ 1436م) محمد الثاني (873- 910هـ/ 1468-1504م) رغم الصعوبات التي واجهها مع الحفصيين ففي البداية كان ذا قوة إلى أن ولى الولاء لهم وزوج أميرهم أبو زكريا مسعود الحفصي ابنته التي كانت بمثابة رهينة، بعد وفاته اعتلى السلطان أبو محمد الرابع العرش الذي سار في الطريق الصحيح وتجنب

[1] إسماعيل بركات، المرجع السابق، ج01، ص 02.

[2] حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 150.

[3] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج01، ص ص71 - 72.

[4] نورالدين غرداوي ، المرجع السابق، ج01، ص 26.

غضب الحفصيين والمرينيين إلى أن وافته المنية سنة (910هـ/ 1405م)[1]، فاغتنم أعداؤه الفرصة وتكالبوا على السلطة إلى أن سمع بهم الإسبان فاحتلوا المرسى الكبير سنة (911/ 1506م)، وتولى الحكم محمد الخامس كسلطان للزيانيين في مدينة تلمسان، ولحسن حظّه صادف عصره تطاحن داخل البيت الزياني وتكالب الأعداء والدول عليه[2].

وإن كنّا نجد أنّ كتب النوازل الفقهية التي ألفها الفقهاء تتحدث عن الأسئلة والأجوبة حول جهاد المسلمين ضد الأعراب فأجازها الفقهاء بالدفاع عن أنفسهم وعرضهم وأموالهم، وقتالهم وأخذ الغنائم منهم مهما كانت، لأن الأعراب كانوا يفرون من المعارك ويقاتلون بالفر والكر ويقتلون المسلمين ويأخذون ممتلكاتهم لهذا أجاز الفقهاء قتالهم والنيل منهم[3].

وإذا عدنا إلى الفترة المتأخرة فإنّنا نرى بداية تدخّل الدولة العثمانية في أوضاع الدولة الزيانية خلال القرن (09هـ و 10هـ) لما ظهرت مجموعة من الجنود العثمانيين على ساحل البحر الأبيض المتوسط فهناك بعض شيوخ القبائل استنجدوا بهم للدفاع عنهم من الغزو الإسباني والبرتغالي، فدخل هؤلاء الجنود مدينة بجاية فاستولوا عليها ثم مدينة وهران ثم تملكوا الجزائر بعد ضعف بني زيان ومن بين المشايخ الفقهاء الصالح أبو العباس أحمد ابن القاضي الزواوي المشهور في تلمسان، الذي راسل الإخوة بربروس وإخبارهم بالظلم والاضطهاد الذي سلطه العدو الكافر عليهم، فاستولى عروج على مدينة الجزائر قبل الإسبان وغلب بني زيان سنة (923هـ/ 1517م)، بعد أن تولى العرش الزياني أبا حمو الثالث بعد وفاة محمد الخامس سنة (922هـ / 1516)، فعندما حرر العثمانيون مدينة الجزائر وتلمسان سنة (923هـ/ 1517م) طردوا منها أبو حمو الثالث.

بعد هذا سئم المجتمع الجزائري من العنصر التركي فقتل هذا الشيخ سنة (930هـ/ 1523م)، وتوجّه عروج لمحاربة بني يزناسن فقتل في هذه الحادثة وتفرقت جموع العنصر التركي، فعادت تلمسان إلى أصحابها، بعد مدة اعتلاها صاحبها أبي العباس فعاد إليه الترك مرةً أخرى وغزوها وأنزل منها صاحبها أبي العباس[4].

---

[1] إسماعيل بركات، المرجع السابق، ج01، ص 02.

[2] عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج01، ص ص75 – 76.

[3] أبي عبد الله محمد بن مرزوق، المصدر السابق، ص 43. أنظر/ الملحق رقم 02، ص122.

[4] حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 150.

فمن هذه الأحداث التي دارت في بلاد المغرب الأوسط من تكالب الدولة المرينية والحفصية عليهم، والتطاحن داخل البيت الزياني من اعتلاء الحكام والإطاحة بهم سواء من داخل البيت الزياني أو من الخارج الذي يعود إلى السلطة المرينية والسلطة الحفصية، انتهز الإسبان هذه الحالة ودخلوا بلاد المغرب الإسلامي من طريق بجاية ووهران والجزائر في بلاد المغرب الأوسط، فعندما علم أهل ومشايخ بلاد المغرب الأوسط بالعثمانيين المتواجدين في ضفاف البحر الأبيض المتوسط، وجدوا الخلاص الوحيد من الإسبان بعد سقوط الدويلات الأندلس، هم العثمانيين المتواجدين بالقرب من مدينة الجزائر، فاستنجدوا بهم لخلاصهم من الإسبان، فدخل العثمانيين بلاد الجزائر وبجاية ووهران فحرروها من الإسبان العدو الغاشم، واستوطن العثمانيون بلاد المغرب الأوسط إلى أن سئم منهم أهل بلاد المغرب الأوسط وأرادوا الخلاص منهم لكن فات الأوان على ذلك.

4.2 الأوضاع الاقتصادية

تدهور وانهار الاقتصاد في بلاد المغرب الأوسط خلال القرنين (06-09هـ/12-15م) لأسباب وعوامل عدة منها الجوائح الطبيعية المتكررة على المنطقة، ومنها الجوائح البشرية الدائمة المتمثلة في الحرابة والحروب لسبب تكالب الدويلات المجاورة لها

1.4.2 الأوضاع الزراعية

فمن الجوائح الطبيعية ومنها البشرية سببت الجوع والخوف وعدم الاستقرار السياسي الدائم في بلاد المغرب الأوسط، مما أطاح بالاقتصاد جرّاء هدم العيون والآبار والسدود والبرك ونهب المزارع وحرقها، حيث أن السلطان المريني أبي يعقوب سنة (670هـ/ 1271م) استمال قبائل بني توجين إليه الذين كانوا مناوئين للسلطة المركزية الزيانية، (فقطعوا الثمار، ونسفوا الآبار، وخربوا الربوع، وأفسدوا الزروع، ولم يدعوا بتلك الجهات قوت يوم حاشا السدرة والدوم)، كما نعلم أنّ تلك المرحلة سادت فيها لحروب والثورات[1].

تشير الدّراسات المتخصّصة في تاريخ الاقتصاد الزراعي إلى أنّ الزراعة المروية في بلاد المغرب الأوسط التي كانت عاصمتها آنذاك تلمسان كانت القنوات والساقيات تستعمل في الأراضي الزراعية الواقعة في تلمسان سواءً داخلها أو خارجها، التي كانت تأتيها المياه من

[1] أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 45.

نهر سطفسيف والأنهار الخارجية، وتنتقل هذه المياه عبر القنوات إلى الصهاريج المدينة ثم توزع عن السكان والمزارع والبساتين، فكانت هذه المياه توزع حسب الجداول وبأوقاتٍ منظمة للمزارعين، من أجل الاهتمام بالمزارعين والقبائل، وهذه الزراعة في بعض الأحيان تواجه مشاكل مثل: الحشرات والجراد والطيور والحرائق والرياح والثلوج والفيضانات والسيول والجفاف والقحط[1].

يتضح لنا من خلال كتب النوازل الفقهية والفتاوى العلمية أن أصل المياه للسقي في بلاد المغرب الأوسط تتمثل في: (الأمطار والعيون والآبار والأودية والأنهار والصهاريج)[2]، وقد ظهرت مدينة تلمسان بقوّتها الاقتصادية وكأنّها (قاعدة المغرب الأوسط لها أسواق ومساجد ومسجد جامع وأشجار وأنهار عليها الطواحين وهو نهر سطفسيف، وهي دار مملكة زناتة ومتوسطة قبائل البربر ومقصد للتجار الآفاق)[3].

أما القلقشندي فيقول ذكر صاحب مسالك الأبصار (أن بلاد المغرب الأوسط بها أنواع عدة من الزروع منها القمح، والشعير، والحمصُّ، والفولَ، والعدس، والذرة، والدُّخن، والجلبان، والبسِلاَّ، أما الأَرز مجلوب لها) أما فواكهها التين والعنب والرمان والزعرور والخوخ والمشمش والعناب والكثَّر والتفاح والسفرجل والتوت الأبيض والأسود والقراصيا والزيتون والأترجُّ والليمون والليم والنارنج أما الجوز والبندق والموز الهليون والصَّعتر بنسبة قليلة، النخيل والفستق والمصغ وكذلك بطيخ الأزرق والأصفر والخيار والقثاء واللوبية واللفت والباذنجان والقنبيط والكرنب والرجلة والبقلة اليمانية والخس والهندباء[4]، وقصب السكر والسمسم والقنب وسائر البقول والخضر والفواكه وزروع الفلاحين المتميزة التي ذكرناها من خلال كتاب القلقشندي صاحب صبح الأعشى.

---

[1] بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني، هشام أبو رميلة، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، 2002 م ، ص 179.

[2] كمال الدين أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 05.

[3] حاج عبد القادر يخلف، المرجع السابق، ص 148.

[4] أبي العباس محمد القلقشندي، المصدر السابق، ج 05، ص 112.

وكذلك وصف ابن أبي زرع كثرة الخضر وثراء الفواكه نذكر منها الرمان السفري والتين الشعرى والسبتي والطيب الحسن والعنب والخوخ والجزر والعناب والسفرجل والأترج والتفاح اللوبي والطلح والكلخى والكمثرى والمشمش والبرقوق والتوت[1].

ويذكر القلقشندي حيوانات المغرب الأوسط الخيل والبغال والإبل والأحصنة والحمير وغنم الضأن والمعز والبقر، أما الوحوش البرية التي تحدث عنها: النعام والغزلان والزرافة وبقر الوحش والحمرة، أما الطيور الحمام الكثير والدجاج الوفير والإوز بقلة الكراكيٌّ وغيرها من الطيور[2].

2.4.2 الأوضاع الصناعة والحرف

أفاد الحسن الوزان بمعلومات ذات قيمة في الفترة المتأخّرة من تاريخ المغرب الأوسط وصوّر كثرة المواد المعدنية والنسيجية في بلاد المغرب الأوسط في تلمسان، التي كان بها العديد من الصناع والصنائع، وكذلك ندرومة وقلعة بني راشد التي شهدت أربعين داراً للصناعة، أما تلمسان التي شهدت كمّا هائل من صناعة الصوف، نذكر منها: "وهي دار مملكة يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من المحررات والأبدان وأحاريم الصوف والسفاسير والحنابل المكلكلة وغير ذلك"[3].

وقد جاء في المصادر أنّه يوجد سهل بوادي اللّوريط في تلمسان الذي أنشأت فيه العديد من الورشات الصناعية، التي أنشأها المهاجرين الذين قدموا من الأندلس بالحرف والصناعات، منها صناعة الملابس والأغطية والأفرشة بالطرز والمنسوجات الحريرية والقطنية والكتانية والصوفية وغيرها، وكذلك صناعة الأسلحة والأواني الفخارية والخزف وغيرها من الصناعات والحرف[4].

وتحدثت النوازل الفقهية عن أشكال البيع والشراء مثل: ما ظهر عند يحي المازوني في مسألة أن المنتوجات والمصنوعات في أغلب الأحيان كانت بيد الدولة وفي بعض الأحيان

[1] محمد عيسى الحريري، المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم لنشر والتوزيع، الكويت، 1987.

[2] الشيخ أبي العباس محمد القلقشندي، المصدر السابق، ج5، ص 113.

[3] إسماعيل بركاتي، الدرر المكنونة في نوازل مازونة للمازوني ت 883هـ، عبد العزيز فيلالي، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010 م، ج01، ص 49.

[4] إسماعيل بركاتي، المرجع السابق، ج01، ص 49.

كانت بيد الإمام، فإن الفقيه أبو زيد عبد الرحمان بن مقلاش سئل طعن اكتراء المكتري ملاحة البطحاء مدة معينة، هل يسوغ أو لا"؟[1].

كذلك من الأشخاص الذين يشترون ويبيعون الزرع واللحم والطعام بالذهب والفضة، والمعاملات هذه ظهرت في قطر المغرب الأوسط الذي انتشرت فيه الفضة والذهب والحديد أي الصناعة المعدنية، إلى أن ظهرت بعض التساؤلات: هل يمكن للدولة أن هذه تستغل هذه الصناعات ؟ وهل يقدم ضريبة عن الصناعات المنتجة ؟[2].

ومن الواردات التي كانت تستوردها تلمسان في العصر الزياني مع الأمير أبا تاشُفين عبد الرحمان بن موسى بن عثمان بن أبي يحيى يغمراسن بن زيان الذي دبر مكيدة لقتل أبيه، منها التبر الذي كانت القوافل تأتي به من المراكز التجارية الكبرى من جنوب الصحراء، فكان التبر يتحصل عليه من الأنهار المدارية، وجلود اللّمط فهذا الجلد الغليظ الذي يأخذ الوعول فيستخدم في تغليف المراكب والدروع والأفرشة، كذلك الملح والخشب الصلب وريش النعام وسن الفيل، فهذه السلع تنقل إلى بلاد أوروبا ثم نستورد منها السيوف والورق والنسيج وغيرها من المنتجات الأوربية[3].

3.4.2 الأوضاع التجارية

أفادت مصادر الرحالة عن أخبار تلمسان في العهد الزياني من ازدهارها والأمن الذي ساد البلاد والعباد إلى أن أصبحت تلمسان تمثل مركز تجاري، فازدهرت هذه المنطقة بسبب الأمن والاستقرار الذي وفره الأمير أبا تاشُفين عبد الرحمان بن موسى بن عثمان بن أبي يحيى يغمراسن بن زيان بعد أن دبر مكيدة لقتل أبيه، فأصبحت تلمسان تعج بالتجار الأجانب منهم الأندلسيين والمغاربة والمشارقة، الذين قدموا إلى تلمسان بالأموال الضخمة من أجل التجارة بها في المغرب الأوسط، كذلك تأمين الطرق التجارية التي تمر من ميناء وهران

[1] المرجع نفسه، ج01، ص 49.

[2] المرجع نفسه، ج01، ص 49.

[3] حسن مؤنس، المرجع السابق، ص 32.

وأرشقول وقَليلة حتى سجلماسة والسُّوس، حتى جنوب الصحراء من تنبكتوا على نهر النيجر إلى أدرار وتاوريرت التي تعتبر مراكز تجارية كبرى[1].

أما تجارة الذهب والمعادن فلعبت دورً هاما في بلاد شمال إفريقيا خلال القرن (08هـ/ 14م)، فكانت هذه التجارة تعد المحرك الأساسي لبلاد المغرب الأوسط، التي ازدهرت وتكونت من طريق ذهب السودان، فكان الصراع المستمر بين الدول المغرب على المراكز التجارية منها: القيروان تاهرت تلمسان سبتة سجلماسة، فاتخذ المرينيون طرق تجارية صحراوية مخالفة لطرق التي اتخذتها دولة الموحدون من قبل، وهذا من أجل الحفاظ على سلامة التجار المغاربة فاتخذوا طريقهم الغربي، وكانت هذه التجارة الخاصة بالذهب يأتي إليها تجار أجانب من الشرق وشمال إفريقيا إلى أن تدهورت الأوضاع بسبب الصراعات القائمة بين دول المغرب الإسلامي[2].

ويذكر ابن بطوطة أن رفيقه كان تاجراً فتوفي وترك ثلاث ألاف دينار من الذهب فأوصى ابن حديدة من تجار الجزائر ليقدمه لأهله في تونس فهذا دليل على أن كان هناك التجار يقطنون المغرب الأوسط عامة وتلمسان خاصة لتجارة فيها[3].

يطلعنا الفقيه ابن مرزوق الخطيب في تأليفه المناقب المرزوقية أن التجارة في بلاد المغرب الأوسط في العصر الوسيط خلال القرنين (07هـ-08هـ/ 13-14م) تدهورت لسبب الحروب القائمة بين الدولة الزيانية والدول المجاورة لها أي تكالب الدول عليها، مما أدى إلى الرعب والخوف في نفوس التجار القاطنين من كل مكان، كذلك سبب آخر وهو الحرابة واللصوص ونتيجة ضعف سلطة الدولة على الأرياف فقد استغلوا[4] هذه الأوضاع وقاموا بقطع الطرق التجارية وسرقة التجار الأجانب أو المحليين الأمر الذي منع التجار من ممارسة التجارة في بلاد المغرب الأوسط، حيث قال ابن مرزوق: «أن الموضع المعروف بمسجد إيلان، وهو اليوم داخل الربض، كان يطلع منه كل يوم حمل للبضع، من عمل الصوف، وهذا

---

[1] المرجع نفسه، ص 31.

[2] أبو عبد الله محمد بن مرزوق ، المصدر السابق، ص 49.

[3] حسن مؤنس، المرجع السابق، ص 34.

[4] Mercier. E, Histoire de l'Afrique septentrionale (Berberie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française, Edition Ernest Leroux, Paris, 1888, t 2, p 2.

موضع من آحاد المواضع، فانظر هل تجد اليوم في ذلك الموضع، أو ما يجاورهم، عمارًا أو في البلد كلها ما يشترى به بأقل عدد»[1].

إن بلاد المغرب الأوسط في العصر الوسيط تأثرت كثيراً بالجوائح الطبيعية منها الزلازل والقحط والجفاف والرياح والأعاصير والثلوج والبرد والصقيع والسيول والفياضان والجراد والحيوانات والأمراض والأوبئة، فهذه الجوائح عطلت استمرار الحياة البشرية من الخوف والرهبة والجوع، إلى أن أصبح أهل تلمسان يعانون من هذه الجوائح وينتظرون دورهم في الموت، فتسببت هذه الجوائح في إيذاء الناس وتحول حياتهم إلى جحيم.

فمن هذه الحالة المستمرة بالجوائح الطبيعية خلال القرنين (07- 08هـ/ 13- 14م) التي خلفت الخوف وانتهاء الأمن وعدم الاستقرار مما جعل الجوائح البشرية من الحرابة والسرقة والنهب وأخذ أموال الناس والقتل والغش، علاوة على هذا تكالب عليها الدويلات المجاورة لها من الدولة المرينية والدولة الحفصية وكذلك الدول النصرانية، بعد أن ظهرت الدولة العثمانية كقوة في البحر الأبيض المتوسط، التي دخلت مدينة وهران والجزائر وتلمسان.

ورغم هذه الأحداث بقي أهل تلمسان متمسكين بدينهم الإسلامي وطلبهم للعلم واجتهادهم في تحصيله، أما الجانب العسكري والسياسي فلم يرى الاستقرار إلا في بعض الحالات، فهذه الظواهر خلفت انعكاسا سلبيا أثّر في مسار حركية الاقتصاد في شتى مجالاته من زراعة وصناعة حرفية وتجارة، فضعفت أحوال التجارة وتدهورت المداخيل وكثر الغش والاحتكار وسادت المجاعة وكثرت الأمراض والأوبئة.

شهد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط حركة علمية نشيطة، جسدها العلماء والفقهاء في عدة مظاهر، منها التدريس والتأليف والمناظرات العلمية بين العلماء وفقهاء المذاهب، فكان لفقهاء المغرب الأوسط حضورًا علميًا كبيرًا في هذا النشاط العلمي، ومن مظاهر نشاط الفقهاء نجد كتب النوازل، التي دوّنوا فيها ما كان يواجه مجتمعاتهم من حوادث ومعاملات ناشئة عن أنشطتهم وعلاقاتهم والحلول التي عالجوا فيها هذه التساؤلات.

[1] أبو عبد الله محمد بن مرزوق، المصدر السابق، ص 47. أنظر/ الملحق رقم 07، ص127.

وهذه المصادر غير التقليدية للمادّة التاريخية، لن تكون سهلة التناول لكلّ الباحثين والمطّلعين على التاريخ لسبب واحد وجيه، ذلك أنّها دونت من أجل حماية التراث الفقهي، ولم يكن مقصد مؤلفيها إرسال الدلالات التاريخية التي أشرنا إليها سابقا، لذا كان لزاما على الباحث أن يستعرض الأصل الاصطلاحي ولمفاهيمي لهذه المصادر، وأن يبحث في حضور الدّلالات التاريخية غير التقليدية المتضمّنة فيه وخدمة المعرفة التاريخية العلمية بشكل يسدّ النقص ويساعد على إعادة تركيب الحوادث التاريخية ويساهم في قراءتها وإعادة كتابتها من جديد.

.3
المدونات الفقهية والنوازلية دراسة في المضمون والمصطلح

1.3 تعريف الفقه والنوازل والفتاوى والأجوبة ومسائل الأحكام أو المسائل

بعد الفتح الإسلامي الذي ساد في بلاد المغرب الإسلامي فنتشر التعليم للمعالم الدينية الإسلامية، ومن هذه المعالم ظهرت بعض المشاكل والتساؤلات الموجهة للفقهاء والعلماء، فمن هذه الأسئلة بدأ نشوب الفقه والنوازل والفتاوى والأجوبة ومسائل الأحكام أو المسائل في بلاد المغرب الإسلامي.

1.1.3 التعريف بالفقه

هو العلم بالحاجة أو الشيء، أي بمعنى علمته أو أعلمته أو فقهته، ومعنى فُقّه أي أصبح فقيه عالم، كما وضح محمد حجي في تعريفة للفقه بأنه: "العلم بأحكام الشرعية العملية المكتسبة من أدلتها التفصيلية، فهو علم حادث في الإسلام لم يعرف إلا بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم"، ومن هذا القول نستطيع أن نصبح فقهاء، لذلك يجب أن نعلم ونفقه بالحاجة أو الشيء وفهمه.[1]

[1] مسعود كربوع، نوازل النقود والمكاييل والموازين في كتاب المعيار للونشريسي جمعا ودراسة وتحليل، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2012 – 2013، ص 14.

دائما نلاحظ جل العلماء في دعائهم يقولون: اللهم فقهه أي فهمه وعلّمه، فالفقه هو فهم الشيء والعلم به[1]، وكذلك نعود إلى التفقه في الدين من القرآن الكريم فقول الله تعالى: {وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلَّهم يحذرون}.[2]

مرَّ هذا النوع من الفقه في الغرب الأوسط بمراحل، ولكل مرحلة خاصة فنجد مثلا في العصور المتقدمة في الغرب الإسلامي وخاصة في عهد الإمام مالك وتلامذته، حيث لم تدون هذه النوازل والفتاوى في كتاب، أو دوِّن جزء منها، وضاع الآخر وكان ينقل بالرواية.[3]

أمَّا في عصر المرابطين فكان اتجاه الفروع هو الغالب على فقه النوازل، فنجد في هذه الفترة الاستدلال بأقوال أئمة المذاهب ورجالها. في حين تميَّز العصر الموحدي بحرق كتب المذاهب والتشجيع على الاجتهاد والنظر، وهذا ما جعل كتب النوازل تقفز قفزة أخرى [(4)]

أمَّا في عهد الدولة النّصرية بالأندلس فنجد فقه النوازل قد أخذ طابعاً آخراً، واتجاهاً مغايراً، طَغَتْ عليه الجوانب والأغراض السياسية، وخاصة العلاقة بين المسلمين والنصارى، وتحديد علاقة المسلمين باليهود، وحكم الردة من بعض المسلمين في الأندلس الذين ارتـدوا عن الإسلام قـهراً وإكـراهاً، وغـيرها من المسائل[5].

2.1.3 التعريف بالنوازل

النوازل هي القضايا والمسائل المستعصية في حلها من أمور دينية اجتماعية، فيلجأ صاحب هذه المسألة إلى أهل العلم من أجل إعطائه الحل من الحكم الشرعي أي حكم الله فيها، فهذه المحن والشدائد التي يتعرض لها العبد في أغلب الأحيان، فكانت تسمى

[1] مصطفى الصمدي، فقه النوازل عند المالكية تاريخياً ومنهجاً، دار مكتبة الرشيد، المملكة العربية السعودية الرباط، 2007م، ص 12.

[2] سورة التوبة، الآية 122.

[3] نورالدين غرداوي، المرجع السابق، ج01، ص 51.

[4] تميزت كتب النوازل في هذه الفترة بالاستدلال، والاجتهاد، والنظر، والأخذ بالمظالم، مثل نوازل ابن رشد السالفة الذكر. للمزيد أنظر/ نفسه.

[5] نفسه.

أحيانا بالنوازل وأحيانا بالأجوبة وتارة بالفتاوى وفي بعض الأوقات تسمى بالأسئلة وبالأحكام أو مسائل الأحكام.

وهذه المصطلحات أو الأسماء التي تدلّ على هذه الشدائد والمحن، مثل النوازل والفتاوى والأسئلة والأحكام والأجوبة وغيرها، فكلها تدل على معنى واحد: وهي المصيبة أو المشكلة الغير المتوقع ظهورها التي حلت بالإنسان، وتدل كل هذه المعاني اللغوية على النوازل[1]، لذلك أردنا التحدث عن النوازل لمعرفة ما معناها وتسليط الضوء عليها.

وسميت المحن والشدائد بالنوازل من ما ذكره الفقيه ابن رشد من أن النوازل جاءت عند الفقيه يوسف بن عمر (761هـ / 1360م)، من نقل الحطاب وابن عرفة نقل عنه البرزلي في فتاويه ونوازله، وزروق في تأليفه شرح الإرشاد والحطاب في تأليفه "مسائل الالتزام" والتنبكتي في تأليفه نيل الابتهاج والمهدي الوزان في "النوازل الجديدة الكبرى"[2].

أ. تعريف النوازل لغةً

عرفها صاحب لسان العرب بأنها: " الشديدة التي تنزل بالقوم، وهي من شدائد الدهر تنزل بالناس"، أما معنى النزول هو الحلول " ينزل نزولا ومنزلا"، و" نزلت بهم نازلة ونائبة وحادثة ثم آبدة وداهية وواقعة ثم بائقة وحاطمة وفاقرة ثم غاشية وواقعة وقارعة ثم حاقة وطامة وصاخة"، وهذا يعتبر من المصائب والشدائد التي تحل بالناس، وسقط هذا المصطلح "النوازل" أو "النازلة" على الفقه فقط أي النوازل الفقهية أو النازلة الفقهية، وترجع هذه النوازل إلى الفقهاء والعلماء[3].

وجاء في بيت شعرً لمحمد رواس وذكره قلعة جي وحامد صادق قفي معجم لغة الفقهاء، قال:

قد هون الصبر عندي كل نازلة ولين العزم حد المركب الخشن

[1] المرجع نفسه، ج1، ص48، 49.

[2] أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي (520هـ/1126م)، فتاوى ابن رشد، تح المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987م، ج1، ص 39. أنظر/ الملحق رقم 02، ص 122.

[3] مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 14 – 15.

وكذلك جاء في تعريف في معجم لغة الفقهاء أنها: "المصيبة ليست بفعل فاعل، وهي الحادثة التي تحتاج لحكم شرعي".

فالنوازل الفقهية في مضمونها تحتوي على المشاكل والمصائب والأحداث التي يستلزم حلها من الأحكام الشرعية، حيث أنّ هذه الأحداث تنزل في كل وقت سواء قبل إيجاد فتواه أو حل لهذه النازلة قبل وقوعها من طرف الفقهاء.[1]

والنوازل جمع نازلة مشتقة من الفعل نزل، جاء في معجم مقاييس اللغة أن نزل هي كلمة صحيحة إذا عدنا لتقسيمها إلى النون والزاي واللام لأن هذا المعنى يعود إلى هبوط الشيء، وإذا تقدمنا لمعناها الحقيقي أن النازلة هي المحنة والشديدة على ممر الزمن.[2]

فهذه النوازل والمسائل التي تلازم الإنسان في حياته اليومية والمعاملة بها، والتي تعود إلى المجتهدين والفقهاء لإعمال النظر وتفسير هذه الحادثة، من أجل تطبيق الأحكام الشرعية فيها، عن طريق تحليل النصوص الفقهية والعلمية الدينية من أجل إيجاد الحلول المناسبة لظاهرة التي تحل بالمجتمع في عصرٍ ما.[3]

ب. تعريف النوازل اصطلاحا

رغم إعادة الاهتمام والاعتبار لفقه النوازل كمصدر فقهي بالأساس إلاّ أنّه لم يظهر للنوازل تعريفا اصطلاحيا موحّدا خاصة من حيث دلالته التي تتجاوز التأصيل الأصولي، أمّا عند المؤرخين فنجد أنّ الباحث المؤرخ محمد حجي الذي عرّفها اصطلاحا بقوله: "أما النوازل فهي مسائل وقضايا دينية ودنيوية تحدث للمسلم ويريد أن يعرف حكم الله فيها. وقد أخذ المسلمون، بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم وانقطاع الوحي، يلجئون إلى الخلفاء الراشدين وعموم الصحابة يسألونهم عن أحكام هذه النوازل، فكان هؤلاء يلتمسون لها نصاً في كتاب الله أو سنة رسوله، يمكن أن تندرج النازلة تحته، فإذا وجدوه وقفوا عنده، وإلا اجتهدوا في استنباط أحكام تساير سياق القرآن والسنة ولا تخالف روح الشريعة

[1] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص 13.

[2] فريد قموح، الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي بن موسى بن عيسى المازوني (ت 883هـ) دراسة وتحقق لمسائل الجهاد والأيمان والنذور، مذكرة ماجستير في تاريخ الوسيط تخصص علم المخطوط العربي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2010 /2011م، ص 39.

[3] مصطفى الصمدي، المرجع السابق، ص 13 – 14.

الإسلامية التي تلقوها مباشرة من فم رسول الله صلى الله عليه وسلم قرآنا يُتلى وحديثاً يروى".[1]

والنّازلة هي الواقعة والحادثة التي تنزل بالشخص سواء في مجال العبادات أو المعاملات أو السلوك أو الأخلاق، حيث يلجأ هذا الشخص إلى من يفتيه بحكم شرعي في نازلته.[2]

ومن خصائص النوازل نذكر منها: الواقعية التي تتميز بواقعية الأحدث إلى أن يقع هذا الحدث ثم يخوض الفقهاء في دراسته والإجابة عليه، أما الطابع المحلّي يعتمد على أن النازلة لا تبقى مبهمة إلا أن تتخذ مسائلها في المكان والزمان والموضوع مثل: نوازل صاحب الدرر المكنونة في نوازل مازونة الذي حدد المكان، أما التجديد المستمر الذي يتميز باختلاف من حال إلا آخر عكس النصوص الفقهية الثابتة التي لا تتغير، أما تنوع التأليف تختلف كتب النوازل فيما بينها من حيث الشكل والمضمون عكس كتب الفقه مثل: فتاوى ابن رشد وفتاوى الشيخ أبي الحسن اللخمي.[3]

من خلال بحثنا المختصر عن النوازل عند الفقهاء والباحثين اتضح لنا أن النوازل الفقهية لها العديد من التسميات المشابهة لها مثل : الحوادث أي أحداث الدهر، والوقائع أي الداهية التي تعتبر النازلة من ظروف الدهر، والمسائل المستجدات التي تشمل على النوازل الفقهية وتكون ضمنها، أما السؤال المطروح هو: ما علاقة النوازل بالفتوى؟

لذلك نستطيع القول من خلال دراستنا لهذا الجانب أن النوازل أشمل وأضبط من الفتاوى، لأن النوازل تعتمد على الحدوث والوقائع وكذلك تشمل على سؤال الناس عن الأحكام الشرعية لمسألة ما، وتكون الأجوبة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية وأهل المدينة أو إجماع الفقهاء، لأن الإسلام عندما ظهر غيّر مجرى التشريع بما يصلح أحوال الناس و يسهّل لهم معيشتهم و يضبط علاقاتهم من خلال توجيه التفكير وتأسيس العقيدة و توجيه المعاملات الأساسية مع الناس[4].

---

[1] محمد حجي، نظرات في النوازل الفقهية، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، مطبعة الجديدة، الدار البيضاء، 1999م، ص ص11 – 12.

[2] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص 15.

[3] محمد حجي، المرجع السابق، ص 43 ، 44.

[4] مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 16. أنظر/ الملحق رقم 02، ص122.

نستنتج من هذه الأقوال والتعاريف التي تطرقنا إليها ثلاثة استنتاجات تعني أن النوازل تتميز بما يلي:

– الوقوع في زمن حاضر: التي تعتبر الحلول والحصول، لأن النوازل الفقهية لا تطبق على المسائل الافتراضية.

– الحدوث: أي أنّ هذه الحوادث طارئة جديدة لم تقع من قبل ولم يتطرق إليها الفقهاء في زمن سابق.

– الشدة: يجب أن تعود إلى الحكم الشرعي.[1]

وإذا كان مفهوم النوازل الفقهية قد تعدد عند الفقهاء والباحثين سواء منهم القدامى أو المتأخرين، وبالرغم من أنّ هذا الاختلاف في التعريفات أو المعاني للنّوازل الفقهية فإنها تشترك في كونها ترتبط بالفتاوى والواقعات الحادثة ، وتحمل نفس المعني والتطبيق الحالي.

3.1.3 التعريف بالفتاوى

تعتبر الفتاوى الأقوال والإجابات التي تخرج من أفواه الفقهاء والعلماء لمشكل أو قضية ما استعصى حلها، لهذا سماها الزركلي في تأليفه الأعلام بـــ: الفتاوى، ثم ذكرها ابن رشد أنها مخطوطة، ويذكرها ابن فرحون في تأليفه التبصرة حيث جاء في قوله: "وفي مختصر فتاوى ابن رشد للقاضي ابن عبد الرفيع ..."، أما الدكتور جمعة ذكرها في كلامه: "لابن رشد مجموعة فتاوى"، يقول المواق أفتى ابن رشد وكفتوى ابن رشد حيث جاء هذا الكلام في تأليفه في عديد المواطن من التاج والإكليل، وقال ابن الحاج "أفتيت أنا وابن رشد"، وزروق قال: "وبه أفتى ابن رشد"، ويذكر القاضي عياض: "ما رأيك وفتياك"، وجاء في المعيار لصاحبه الونشريسي حيث قال: "وأقام الشيخ أبو الحسن مثل فتوى ابن رشد"، أما أبو الحسن الزويلي الصغير سماها في قوله: أفتى به ابن رشد، فهذه التسمية جاءت عند جل الفقهاء.[2]

[1] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص 16.

[2] أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي (520هـ/1126م)، المصدر السابق، السفر الأول، ص 41، 42.

أ. تعريف الفتاوى لغة

الإفتاء مصدر الفعل أفتَى، من بين الأمثلة: أفتاه في الأمر، أوضحه له وكذلك: يقال اسْتَفْتَيْتُه فَأَفتاني إِفتاءً، أي أجابني[1].

الفتوى والفتي اسمان يوضعان موضع المصدر الإفتاء، وأهل التفاتي: أهل التّحاكم وأهل الإفتاء[2].

يرى بعض العلماء والمفتيين أن كل ما أفتى به المحدث والفقيه هو: فَتْوَى وفُتْوَى وفُتْيَا الذي كان عند القوم وأهل المدينة من اتفاق العلماء[3].

يقال أفتاه في الأمر أي أوضح وأبانه له، أما إذا عدنا إلى الاستفتاء يقال استفتى أي طلب الفتوى[4] من الفقيه أو المفتي، وإذ قلنا تفاتوا أي تحاكموا، والفتيا هي توضيح الإشكال وتبينه من الوجه الشرعي، أما الفتيا والفُتوى والفَتوى أي كل ما حدث به الفقيه، أما إذا قلنا فأتيت فلان أي رفعته إلى المفتي.[5]

أما في سورة يوسف عليه الصلاة والسلام{يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا}[6]، وقال {أَفْتُونِي فِي رؤياي}[7]، وكذلك في سورة الكهف {وَلاَ تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا}.[8]

ويقال أيضًا: "الواو فيها عن الياء، كتقوى فإن ضم أوله صح، فيقال: فتيا، وتجمع على الفتاوى منقوصا ومقصورًا قياسا فيهما، والنقص هو الأصل، والقصد تخفيف، وهي اسم مصدر معنى الإفتاء، وفي اللسان الفتيا والفتوى ما أفتى به الفقيه، والفتح في الفتوى لأهل المدينة.

---

[1] المصدر نفسه، ص 42.

[2] الزليطي الحلول، المسائل المختصرة من كتاب البرزلي، تحقيق محمد أحمد الخليفي، دار المدار الإسلامي، بنغازي ليبيا، 2001 م، ص 09.

[3] فريد قموح، المرجع السابق، ص 40.

[4] أبو القاسم البرزلي، فتاوي البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من قضايا المفتيين والأحكام، تح محمد الحبيب الهيلة، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م، ج01، ص 62.

[5] مصطفى الصمدي، المرجع السابق، ص 14.

[6] سورة يوسف، الآية 46.

[7] سورة يوسف، الآية 43.

[8] سورة الكهف، الآية 22.

لذلك نرى أن النوازل الفقهية والفتاوى والأجوبة والمسائل أو المسائل الكبرى أو الصغرى لها دلالة ومعنى واحد، فالنوازل منضبطة وأشمل منهم في الحكم الشرعي وتكون على شكل وقائع وأحداث، مثال على ذلك: نوازل الونشريسي وابن لحاج والبرزلي والمازوني، وفتاوى ابن عرضون، ومسائل ابن رشد، وأجوبة المجاصي، هذه كلها تعود إلى حكم المفتي سواءً كانت واقعية أو متوقعة.[1]

قال ابن سيدة: إنما قضينا على ألف (أفتى) بالياء لكثرة ف ت ي وقلة ف ت و، والفُتْيَا: تبين المشكل من الأحكام، والفُتْيَا والفُتْوى والفَتْوى: ما أفْتَى به الفقيه.[2]

والفتيا والفتوى: ما أفتى به الفقيه، ويقال أفتيت فلان رؤيا رآها إذا عبرتها له، ومعنى تفاتوا إلى فلان: تحاكموا إليه، ومنه فاتيت شخصا فيما اختلفنا فيه أي تصعد القضية إلى المفتي[3]، فالفتيا وفتوى: إذا نظرنا في هذان الاسمان نجدهما يضعان في موضع الإفتاء، أي الإفتاء في المسألة التي أجاب الفقيه عنها.[4]

وعندما نعود إلى أصل فتوة الإمام الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي في قوله: يقال تفاتينا بمعنى تدافعنا لذلك قال عمر بن أبي ربيعة (البحر الطويل):

فبتُّ أُفاتيها فلا هي ترعوي بجودٍ، ولا تبدي إباءً فتبخلا

والواو في الأصل (فتوى) ياء كتقوى، وإذا ضم أوله فُتيا وجمع فتوي، فتاوي، فتاوَى، والقصر فهو وارد على سبيل التخفيف.[5]

---

[1] عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، مطبعة المعارف الجديد بالرباط، الرباط، 1993م، ص 128. أنظر/ الملحق رقم 02، ص 122.

[2] الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي، من آثار فقهاء الأندلس فتاوى الإمام الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي صاحب الموافقات والاِعتصام المتوفي (790هـ/ 1388 م)، تح: محمد أبو الأجفان، دار الكواكب، تونس، 1985م، ص 67.

[3] الزليطي الحلول، المرجع السابق، ص 10.

[4] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص 16.

[5] أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي الأندلسي، المصدر السابق، ص 67.

كما جاء في كتاب الله عزى وجل في تبيين حكم السؤال {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِسَاءِ قُلِ اللهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَ} فهذا دليل من القرآن الكريم، سورة النساء الآية 127[1]، أما جاء في سورة الصافات {فَاَسْتَفْتِهَمْ أَهُمْ أَشَدُ خَلْقًا}[2] وفي آية أخرى {فَاَسْتَفْتِهَمْ أَلِرَبِّكَ اَلْبَنَاتُ وَلَهُمُ اَلْبَنُونَ}[3]، وجاء أيضًا في حديث النبي صلى الله عليه وسلم عن الفتوى [استفت قلبك، وإن أفتاك الناس وأفتوك] أخرجه الدّارمي.[4]

ب تعريف الفتوى اصطلاحا

الفتاوى بمعنى الإفتاء وهو الدليل من كلام الله تعالى لا على وجه الإلزام، فالمفتي ليس له حق إلزام المستفتي بالدليل القطعي الشرعي الذي أخبره به[5]، أما القاضي فإن حكمه يؤول له الإلزام. لذا جاء عند القرافي: حكم القاضي إنشاء (لا على وجه الإلزام) لأنه لا يتضمن التعريف.[6]

وهي: "إخبار بحكم شرعي من غير إلزام"، كذلك هي: "حكم الشرع الذي يخبر عنه المفتي بإفتائه"، أما الفتوى دائما تكون متخصصة عن النازلة الفقهية لأنها تستدعي الأدلة والبراهين، مثل فتاوى ابن رشد (520هـ/ 1126م)، التي اعتمد عليها المالكية، حيث قال القلاوي الشنقيطي:

واعتمدوا ما ألف ابن رشد والمازري مرشدًا للرشد

علم الفتوى تروى فيه الأحكام الصادرة عن الفقهاء في الوقائع الجزائية ليسهل الأمر على القاصرين من بعدهم، نقول أن هذه فتوى أي هي التي تطلق على الحكم ويقال أنها مشهورة أو ضعيفة.[7]

---

[1] سورة النساء ، الآية 127.

[2] سورة الصافات، الآية 11.

[3] سورة الصافات، الآية 149.

[4] الحديث النبوي، أخرجه الدارمي في كتاب البيوع 02/ 246 .

[5] أبي القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج01، ص 62.

[6] الزليطي الحلول، المرجع السابق، ص 10.

[7] عمر الجيدي، المرجع السابق، ص 128.

فتأتي الفتوى على الحكم الذي وقع عليه الإفتاء، لذا يظهرها ضعيفة أو مشهورةً، ويأتي الإفتاء على الشخص الذي أراد الحكم الشرعي على بعض الأحداث[1]، فيدعى بالمستفتي وربما يريد معرفة السؤال فقط أو الحكم بها على مستفتي آخر، والمفتي والمستفتي قد يكونا معاً أو إفتاء لشخص آخر، أما المستَفْتَى فيه: هي "المسائل الاجتهادية دون المسائل العقلية، على الصحيح".[2]

الأصل في الفتوى هي أن تبعد عن ضغط الأحكام أو السلطات لأنها تتحدث عن الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، وتكون مرسلة غير مقيدة كما كانت بالغالب في بلاد المغرب الأوسط.[3]

فمن فتاوى الفقهاء والمشايخ المعروفة نذكر: فتاوى أصبغ بن خليل أبي القاسم القرطبي (ت293هـ/905م)، وفتاوى ابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ/996م)، وفتاوى الشيخ أبي الحسن اللخمي (ت478هـ/1085م)، وفتاوى ابن رشد الجد(ت520هـ/1126م)، فتاوى الإمام الشاطبي (790هـ/ 1388م).[4]

أما المصادر التي اعتَمَدَت عليها الفتاوى المالكية في المغرب الأوسط نذكر منها: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وموطأ الإمام مالك ومدونة سحنون وغيرها من الكتب والتآليف السنية، والمذاهب الإسلامية السنية وكتب المناقب والسير وغيرها من الكتب الفقهية.[5]

4.1.3 الجوابات والأجوبة

الجوابات أو الأجوبة هي: الإجابة عن السائل من طرف الفقهاء والمشايخ مثل ما سماها ابن خير الإشبيلي بجوابات ابن رشد في تأليفه الذي سماه بالفهرست، وفي معناها الإجابة

---

[1] مختار حساني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبو زكرياء يحي المغيلي المازوني، ج1، مخبر المخطوطات، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2004، ص 27.

[2] الإمام الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي، المصدر السابق، ص 68 – 69.

[3] مصطفى الصمدي، المرجع السابق، ص 15.

[4] فريد قموح، المرجع السابق، ص 40.

[5] أبو الوليد محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي (ت520هـ)، المصدر السابق، ج1، ص ص43 – 44. أنظر/ الملحق رقم 02، ص122.

عن كل شخص تقدم بسؤال من أجل معرفة الحقيقة الدينية أو فتوة استعصى عليها الحل فيلجأ السائل إلى الفقهاء والمشايخ من أجل الإجابة عنها وفي شتى الأحوال الحضارية.[1]

وأجابك يعني رد عليك والاسم فيه الجواب، أي الشخص يجيب عن السؤال أو الدعاء، أي قابل للعطاء والقبول، مما ذُكرى أو جاء في قول الله تعالى: {وَالَّذِينَ يحاجون فِي الله مِنْ بَعْدِ مَا أَسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِهِمْ}.[2] وكذلك قوله تعالى:{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الداعي إِذَا دَعَانِ}.[3]

أما الأجوبة ذكرها الفقيه أبو الحسن الصغير بتسمية الأجوبة في التهذيب، وابن فرحون وابن الرفيع التونسي والحطاب وابن ناجي وأبو عبد الله محمد بن هارون الكتاني التونسي، ذكروا اسم الأجوبة، التي تعتبر الإجابة للأسئلة التي تطرح من عند أهل البلاد في المغرب الأوسط أو غيره من المناطق الأخرى للأخذ الإجابة على الأسئلة التي يراد الإجابة عنها[4].

فأساس الفقه هو السنة النبوية والقرآن الكريم، لذلك نجد من هذه الصيغ كثيرا في السنة النبوية والقرآن الكريم، ويَستعمِلُها الفقهاء في كتبهم الفقهية لأنها تطلق على الفقه والعلوم.[5]

واشترط في المفتي أن يكون فقيها ليرى قضايا الناس، إذ ليس كل إنسان يفتي في يعترض حياة العامة، كي لا تصبح الفتوى هواية لكل شخص، ولا يصمت العلماء والفقهاء عن كل شيء يمس بقداسة منصب الفتوى الجليل، ويجب أن يكون عادلًا عارفًا عالمًا من أجل مراعاة الحرمة والقداسة للفتوى، ويكون الإفتاء إما بالنقل أو بإنشاء الأحكام والاجتهاد، من أجل الإخبار بحكم الشرع، كذلك أن يكون عالم وملم باللغة العربية وعلمه بأصول الفقه، ومعرفته كيفية تطبيق النصوص الفقهية على النوازل والقضايا، وعارفا بأحوال الناس وأعرافهم وعاداتهم، وإتباع أقوال الأمة، ومطالعة الكتب وتحصيل القواعد.[6]

---

[1] المصدر نفسه، ص 37.

[2] سورة الشورى، الآية 16.

[3] سورة البقرة، الآية 186.

[4] ابن رشد القرطبي المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 37.

[5] مصطفى الصمدي، المرجع السابق، ص 16.

[6] عمر الجيدي، المرجع السابق، ص 129.

وتتمثل آداب المفتي في الشخصية المطابقة لمواصفاته، وأن لا يتسرع في تطبيق الأحكام وجوابه على الأسئلة، ولا يغضب من كلام الناس الغليظ، لذلك جاء في القرآن الكريم: {أَنَّ سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِلًا}.[1]

5.1.3 مسائل الأحكام والأسئلة

الأقوال والمسائل التي تطرح من العامة على الفقهاء من أجل الإجابة عنها، سواءً مباشرة أو غير مباشره، مثل قول ابن الوزان: جمعت من المسائل التي سئل عنها الفقيه الإمام القاضي أبو الوليد بن رشد، كذلك قول ابن بشكوال في الصلة: "المسائل"، وقال: ابن سلمون قال ابن رشد في مسائله.، وقال: "مسائل القاضي أبي الوليد"، وفي مسائل ابن رشد، وكذلك في كتاب الفتاوى والمخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بباريس مكتوب فيها: "مسائل سئل عنها محمد بن أحمد بن رشد أبو الوليد"[2].

أما الأسئلة: سماها إسحاق الشهير بالجندي الأسئلة في تأليفه المسمى التوضيح، وكذلك سماها الفقيه الشيخ أبي القاسم البرزلي في تأليفه بالفتوى والنوازل بالأسئلة، وسماها الفقيه الحطاب في تأليفه مواهب الجليل بالأسئلة، فتوارد هذا الإسم في بعض كتب النوازل الفقهية على هذا المنحنى.[3]

يلجأ صاحب الأمر أو المشكل الغامض الذي نزل عليه إلى الفقيه من أجل إيجاد حلٌ له، لأنه مأمور بأن يسأل عن حكم الله تعالى، لأنه أمرنا في القرآن الكريم بذلك، فجاء في قوله تعالى: {فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ}.[4]

وفي آية أخرى: {يسألونك عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا وَيسألونك مَاذَا يُنْفَقُونَ قُلِ العَفْوَ}.[5]

وجاء في سورة المائدة: {يسألونك مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ}[6]

---

[1] سورة المزمل، الآية 05.

[2] ابن رشد القرطبي المالكي، المصدر السابق، ج1، ص35 – 36.

[3] المصدر نفسه، ص 37.

[4] سورة النحل، الآية 43 .

[5] سورة البقرة ، الآية 215 – 217 - 219.

[6] سورة المائدة، الآية 04 .

وفي سورة الأعراف: {يسألونك كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ}[1]،
وفي سورة الأنفال: {يسألونك عَنِ الأَنْفَالِ قُلِ الأَنْفَالُ للهِ وَالرَسُلِ}[2]
وفي سورة الإسراء: {ويسألونك عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي}. [3]
وفي سورة الكهف: {وَيسألونك عَنْ ذِي القَرْنَيْنِ قُلْ سأتلو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا}[4].
وكذلك جاء في محكم تنزيله في سورة طه: {وَيسألونك عَنِ الجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِي نَفْسًا}[5].

وفي سورة النازعات {يسألونك عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا}. [6] وغيرها من الآيات التي ورد فيها كلمة السؤال.

وجب على الجاهل بالأمر الواقع أو المتوقع أن يسأل عليه أهل العلم، فواجب على أهل العلم الإجابة عن هذه الأسئلة، لقوله تعالى: {إِنَّ الذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ والهدى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَاهُ لِلنَّاس فِي الكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ الله وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ}.[7]

فمن هذه المصطلحات المذكورة سابقاً (الأسئلة والأجوبة)، التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، استنبط الفقهاء والعلماء تسمية كتبهم ومؤلفاتهم بالأجوبة والأسئلة أو مسائل الأحكام، من أجل الإجابة عن الأسئلة التي تأتي من أفراد مجتمعاتهم، لإزالة الجهل واستبيان العلم، واستنباط الحلول الفقهية والعلمية من النصوص الشرعية الدينية الإسلامية.[8]

وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعض الفقهاء والمفتيين الذين وجهت لهم الأسئلة وأجابوا عنها:

---

[1] سورة الأعراف، الآية 187.
[2] سورة الأنفال، الآية 01 .
[3] سورة الإسراء، الآية 85 .
[4] سورة الكهف، الآية 83 .
[5] سورة طه، الآية 105.
[6] سورة النازعات، الآية 42.
[7] سورة البقرة، الآية 159.
[8] مصطفى الصمدي، المرجع السابق، ص 16.

– "أجوبة الفقهاء، لمحمد بن سحنون التنوخي القيرواني (ت256هـ/ 869م)، خ الخزانة العامة، الرباط رقم : 1341.

– الأسئلة والأجوبة، لأبي حفص أحمد نصر الداودي (ت307هـ/919م) خ الخزانة العامة، الرباط رقم: 8178.

– الأجوبة، لأبي الحسن علي بن محمد القابسي (ت403هـ/ 1012م)، خ الناصرية، تمكروت المغرب الأقصى، رقم: 1909.

– الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، لشهاب الدين القرافي.

– معين الحكام على القضايا والأحكام، لأبي إسحاق إبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع (ت733هـ/ 1323م).

– جامع مسائل الاحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام لأبي القاسم البرزلي البلوي التونسي (ت 842هـ/ 1438م) ".[1]

2.3 خصائص ومميزات كتب النوازل الفقهية لدى علماء وفقهاء المغرب الأوسط

كتب النوازل الفقهية لدى علماء وفقهاء المغرب الأوسط تتميز بخصائص ومميزات جعلتها ذات أهمية كبيرة في التراث الفقهي الإسلامي، والتي تعتمد على الطابع الواقعي والعملي، والتجذر في المذهب المالكي والتنوع في الموضوعات، والاهتمام بالتفصيل والتحليل، والربط بين النص الشرعي والواقع المحلي، والتوثيق التاريخي والاجتماعي، ومرونة الاجتهاد الفقهي، وأسلوب الكتابة، ومساهمة علماء محليين بارزين، والاجابة على القضايا المستجدة في زمنهم، ودورها في التعليم والتأطير، ودمج الفقه مع العرف المحلي.

1.2.3 خصائص كتب النوازل بالمغرب الأوسط

كتب النوازل الفقهية بالمغرب الأوسط الجزائر حاليا تعد من أهم المصادر التي تعكس الحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المنطقة خلال الفترات الإسلامية المختلفة ومن خصائصها: الارتباط بالواقع العلمي، والتنوع في الموضوعات، والاعتماد على المذهب المالكي، والتفاعل مع البيئة المحلية، والاهتمام بالتفصيل والتحليل والتوثيق

[1] فريد قموح، المرجع السابق، ص 42.

التاريخي، ومرونة الفقه المالكي، والتدوين بأسلوب واضح ومباشر، وأسماء مرتبطة بعلماء محليين.

أ. الواقعية

تميز الفقه النوازلي بالمغرب الأوسط بالواقعية، لأن هذه النوازل وقعت وحدثت فعلاً وثبت وجودها، واتصفت هذه النوازل الفقهية بطبيعة وصبغة الفقه المالكي الذي كان سائدا في بلاد الغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة، وتوسعت النوازل الفقهية إلى أصلين هما: المصالح المرسلة وسدّ الذرائع، اللذين سار عليهما فقهاء المذهب المالكي، لأن هذين الأصلين متلازمين مع أحوال الناس وما يطرأ فيها من حادث.[1]

ب. التعامل مع النوازل وإسقاطها على أرض الواقع

تتمثل في كيفية التعامل معها وإسقاطها على أمر الواقع من خلال المصدرين التشريعيين اللذان اعتمدهما أصحاب المذهب المالكي هما: عمل أهل المدينة والاجتهاد في الفقه النوازلي، هذين الأصلين عمل بهما الفقهاء من أجل التعايش مع أحوال الناس وواقعهم.[2]

ج. المحلية (المكان والزمان)

تعتبر هذه الخاصية عنصر أساسي في مصنفات الفتاوى والنوازل الفقهية، لأن معناها ملتزم بالمكان والزمان في شتى الأوضاع الخاصة بحياة الإنسان، التي تحتوي على المسائل، لذلك نجد أنّ الباحثين أشاروا إلى هذه المسألة المهمّة وهي أنّه: "يأتي السؤال وكذا الجواب بتفاصيل النازلة ويذكر أسماء الأطراف المعنية حتى تاريخ النازلة أحيانا وذلك كله مادة خصبة وثروة لا تقدر للفقهاء والمؤرخين".[3]

2.2.3 مميزات مؤلفات النوازل عند فقهاء بلاد المغرب الأوسط

كتب النوازل الفقهية في بلاد المغرب الأوسط تتميز بعدة مميزات جعلتها ذات أهمية بالغة في تاريخ الفقه الإسلامي، خاصة في تقديم حلول واقعية للقضايا العملية التي كانت

[1] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص 22.

[2] نورالدين غرداوي ، المرجع السابق، ج01، ص 54.

[3] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص 22.

تواجه المجتمعات المحلية التي تتمثل في الواقعية والارتباط بالحياة اليومية، والمرونة الفقهية والاجتهاد، والتنوع الموضوعي، والتأصيل الشرعي، والاهتمام بالعرف المحلي، والتوثيق التاريخي والاجتماعي، والأسلوب التعليمي، واسهام علماء بارزين، والجمع بين النظرية والتطبيق، وابراز خصائص المذهب المالكي، والتنوع الجغرافي والاقتصادي، ودورها في القضاء والافتاء.

أ. تبدأ النازلة بطرح السؤال المراد الإجابة عنه

في بادئ الأمر دائمًا يكون السؤال من طرف الشخص الذي يريد الإجابة عليه، فيكون هذا السؤال من طرف العامة منهم لم يعرف القراءة والكتابة، فيطرح سؤاله مبعثرا وضعيف التقديم واللغة التركيب، فيقوم المفتي أو صاحب جامع الفتوى بتصويبه وصياغته الحسنة واختصاره، حتى يسهل عليهم طابع السؤال والإجابة عليه من طرف المفتيين.[1]

ب. الإجابة على النازلة بدون اختصار

عندما يقدم السؤال عن النازلة للفقيه فيجيب عنه مباشرة، وفي بعض الأحيان يجيب على أسئلة إضافية أخرى لم يسأل عنها، من أجل التوضيح بعض الأمور الغامضة لمجتمع المغرب الأوسط، لأن بعض النوازل يجيب عنها الفقيه قبل حدوثها من أجل الاستفادة من هذا الجواب، والإجابة في أصلها أنها تكون من إجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أحاديثه.[2]

ج. استعمال اللهجات المحلية

تعتبر اللهجات المحلية في الأسئلة والأجوبة التي يقدمها الفقهاء في بلاد المغرب الأوسط من أساليب الحوار الصحيح، لأن لا تختلف اللهجات بين السائل والمفتي وعدم فهمه، لذلك يجب على المفتي فهم اللهجة جيدًا حتى يستطيع الإجابة على السؤال، مثل ما ذكره الونشريسي في تأليفه المعيار الجزء الأول مثل: "(باطلا) أي مجانا بدون مقابل، و(أصاب) بمعنى وجد ولقي، و(نتعوج) بمعنى ننحرف، و(عبَّاه) بمعنى ذهب به وحمله معه،

[1] المرجع نفسه، ص 23.

[2] المرجع نفسه، ص 23.

و(ليهدَّنوا الشر بين الزوجين) بمعنى الإصلاح بينهما، و(ما يخصه منه قيراط) أي لا ينقصه منه شيء".[1]

د. الاختصار عند الفقهاء في الجواب

في بعض الأحيان تقتضي النوازل وقت طويلا وتمعن من أجل دراسة هذه النازلة دراسة جيدة وموسعة وشاملة من أجل الاستفادة منها، لأن نص النازلة على الأغلب يكون قصيرا، ومن جهة أخرى يكون جوابها طويلا، لأنهم يعرضون فيه أقوال الأئمة، ثم يرجحون قول على آخر، وأحيانا يقومون باختصار هذه الأقوال من أجل الإيضاح ...[2]

هـ. مكاتبة المذهب من طرف الفقهاء في بلدان أخرى

دائما ما يكون الاختلاف في النوازل الفقهية، وهذا الاختلاف ليس فيه خطأ، بل يكون الحكم الأنسب للنّازلة الفقهية، ولا يكون عَجزاً من الفقهاء بل الأمر يصب في الأصح، مثل ما حدث مع القاضيان محمد بن بشير ويحي بن معمر الألهاني، ذكر عن بن بشير عن عياض من حديث بقي بن مخلد والسياق عليه "كان ابن بشير يشاور في قضائه عبد الملك بن الحسن زونان والغازي بن قيس والحرث بن أبي سعد وإسماعيل بن البشير التيجي ..." وقال ابن الحارث "كانوا إذا اختلفوا عليه كتب إلى مصر: إلى عبد الرحمان بن القاسم وعبد الله ابن ووهب".[3]

3.3 كتب النوازل وأهميتها في الكتابة التاريخية

تطورت حركة التأليف الفقهي في نظر الباحث من حيث دراسته وقراءته لتأليف النوازل الفقهية، يجد نبرة مميزة عند المذهب المالكي ومدارسه خلاف المدارس المذهبية الأخرى سواء في بلاد المغرب الأوسط أو بلاد المغرب الإسلامي عامة والأندلس وفي جل المجالات الحضارية[4]، ففي هذا المذهب نجد الباحث الذي يعمل عقله ونظره ورأيه وأخذه بالقول المشهور والراجح والمرجوح والشاذ والضعيف إلى جراء وراء المصلحة، فمن هذا القول تظهر

[1] الونشريسي، المصدر السابق، ج 01، ص ز.

[2] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص 24.

[3] المرجع نفسه، ص ص24 – 25.

[4] مختار حساني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبو زكرياء يحي المغيلي المازوني،ج1، المرجع السابق، ص 23.

حركية هذا الفقه وقابليته للتطور والتجديد[1]، أما بعض الأغلاط التي تقع في الفقه النوازلي فيكون من إغفال بعض الفقهاء، لهذا أصبح العديد من الفقهاء يعقدون العزم من أجل نفض الغبار على هذا التراث العلمي الثقافي الضخم، الذي بقي حتى وقتنا هذا ويكون رابطا وثيقا بين الباحثين والأجداد[2].

1.3.3 كتب النوازل وقيمتها الاجتماعية

يتّفق المختصون في مجال البحوث الاجتماعية والاقتصادية على أن كتب النوازل الفقهية التي دونت خلال العصر الوسيط لها قيمة كبيرة في فهم تاريخ المجتمعات المغاربة[3]، على رأسهم سعد غراب التونسي من خلال دراساته التي بيّنت القيمة والأهمية الاجتماعية لنوازل أبو القاسم البرزلي.[4]

فنوازل الفقهاء أغلبها تتحدث عن الجانب الاجتماعي مثل كتاب المعيار المعرب للونشريسي الذي تحدث فيه عن الكثير من المسائل الاجتماعية التي تحتوي على معلومات ومسائل فقهية واقعية قيمة، منها مسائل الزواج والطلاق، حيث سئل الفقيه أبو عبد الله محمد بن محمد السرقسطي: "عمن خطب امرأة لولده، وأكلا معًا الطعام من غير أن تقع بينهما شهادة، ثم توفي الخاطب بعد كتب الاستئمار، وأكل الطعام، فهل ترثه البنت المخطوبة أم لا ؟. فأجاب: إن ثبت أن والد الزوجة البكر سمع منه أنه قال زوجت ابنتي البكر فلانة من فلان، وسمع الزوج أنه قال تزوجتها فإنهما يتوارثان".[5]

كما تشير دراسة مهمّة حول مظاهر الحياة الاجتماعية في بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط مستقاة من كتاب نوازل المازوني، كيفية معالجة الحياة الأسرية والمشكلات المتعلقة بها من حيث الخطبة والعقد والزواج والطلاق وغيرها. ومعالجتها للتكافل الاجتماعي وعلاقة الطوائف ببعضها البعض، والأحباس...الخ.[6]

---

[1] نورالدين غرداوي، المرجع السابق، ج01، ص 50.

[2] مصطفى الصمدي، المرجع السابق، ص 29.

[3] نورالدين غرداوي، المرجع السابق، ج01، ص 71.

[4] محمد المنوني، المرجع السابق، ج02، ص 114.

[5] الونشريسي، المصدر السابق، ج 03، ص 168.

[6] كمال الدين أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 10.

كما نجد معلومات عن العادات والتقاليد والأعراف التي تمسكت بها مجتمعات المغرب الأوسط وكيف تعامل معها الفقهاء في فتاويهم، منها التزيين عند النساء والأدوات المستعملة وهل تجوز أم لا؟ وهناك إشارات عديدة تخص بعض العادات الفاسدة في المجتمعات المغاربية، نتج عنها الانحلال الخلقي وتعدد مظاهر الفساد التي شهدتها هذه المجتمعات، نهى عنها الفقهاء من خلال فتاويهم عن ممارستها و بضرورة تجنبها.[1]

ومن المسائل التي تقدّم بها الناس نحو الفقهاء والمتصوفة والصلحاء والأولياء من أجل نصحهم وتقديم لهم يد العون وكيفية التخلص من آثاره وطرح بعض الأسئلة الخاصة بهذا الوباء[2]، فأجاب الرصّاع بقوله: "أجمعت الأمة على أن الفرار ليس بواجب، وإنما الخلاف هل هو جائز أو مكروه أو حرام"[3].

كما تشير كتب النوازل إلى الرهن والحبس وتعريفهما، فيذكر البرزلي قول عياض حول الرهن: "...أن الرهن اللزوم، أي شيء ملزوم فهو رهن، عند قول هذا رهن لك أي محبوس دائما لك، عند قول راهنتك أي أنا راهن وأنت مرتهن، أما شرعاً: هو إعطاء شخص وثيقة بحق، أو إعطاء متموّل وثيقة بحق، ويدخل على الأول وثائق الديون والحمالة، فهذه من تعاريف النوازل.[4]

فالحبس والوقف واحد، فابن الحاجب يذكر الحبس وأهل المذهب يذكرون الوقف، أما الفقيه الجوهري فيعرفه بقوله: "وقفت الدار للمسكين لغة، وأوقفتها لغةٌ رديئة، كذلك يقول: "حبست فرسًا في سبيل الله فهو محبس وحبيس، أي الحبس يكون بالضم، لهذا يطلق عليه مصطلح الصداقة أو الحبس أو الوقف.[5]

تعتبر أقوال الفقهاء في كتب النوازل مصادر قيمة بالنسبة لضبط التعاملات والعلاقات لمجتمعات الغرب الإسلامي، حتى أصبح القضاة يصدرون أحكامهم استنادا على اجتهادات

---

[1] المرجع نفسه، ص ص11 - 49.

[2] أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 50.

[3] محمد حسن، المرجع السابق، ج01، ص608.

[4] أبو القاسم البرزلي، المصدر السابق، ج01، ص 05.

[5] المصدر نفسه، ج01، ص 316.

نوازل العصر[1]، فكان الأشخاص ينقلون النازلة كما حدثت إلى القاضي أو بعد وقوعها ثم يصدر الحكم من خلال اجتهادات النوازل الفقهية.[2]

وفي كتب النوازل نجد الكثير من المعاملات الاجتماعية السلبية، منها معاملات الأسواق، وما يحدث فيها من غش في المكاييل والتدليس في السلع...إلخ، إضافة إلى نوازل المعاملات المتخصصة في مجتمع البادية.[3]

وبالعودة إلى نوزل الونشريسي والمازوني والبرزلي وقفنا على العديد من المسائل التي تحدث عن الجانب الاجتماعي لمجتمع المغرب الأوسط، ذات أهمية بالغة عند عامة الناس وأصبح العمل بها بينهم[4]، لأنها تعتبر مرآة صحيحة اهتمت بأحوال الناس وهمومهم خلال العصر الوسيط.[5]

2.3.3 كتب النوازل وقيمتها الاقتصادية

المتصفح لكتب النوازل يجدها تشير إلى العديد من المعلومات المتعلقة بمختلف الجوانب الاقتصادية منها: معاملات البيوع والشراء في بلاد المغرب الأوسط عامة، وسجلت لنا هذه النوازل حلولا لهذه القضايا الاقتصادية، ووضع الفقهاء أحكام يقتدي بها الباعة في الأسواق وفي مختلف المعاملات[6]، حيث نجد العديد من النوازل التي أشارت إلى أحكام تمنع السلع المغشوشة والمعاملات الربوية، مثل: "عيوب العروض" التي تمكن في المواد الأولية، وكذلك "عيوب المثليات" المتمثلة في الأغذية، وكيفية المعاملة مع هذه العيوب من خلال فتاوى الفقهاء على نوازل العصر، فهذه الأحكام الفقهية وأقوال الفقهاء ونصوصهم الشرعية تخلّص مجتمع المغرب الأوسط من هذه العيوب التي مست السلع والخدمات.[7]

---

[1] نورالدين غرداوي، المرجع السابق، ج01، ص 71.

[2] كمال الدين أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 08.

[3] عبد القادر بوتشيش، العلاقات الإنتاجية بين المزارعين وأرباب الأراضي في المغرب والأندلس خلال القرن 06هـ/ 12م، دار الطليعة، بيروت لبنان، 2002م، ص ص77 - 83.

[4] الونشريسي، المصدر السابق، ج03، ص 298.

[5] كمال الدين أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 09.

[6] نورالدين غرداوي، المرجع السابق، ج01، ص 71.

[7] الونشريسي، المصدر السابق، ج06، ص ص50 -53.

منحت هذه النوازل حلولا لمشاكل اقتصادية، منها ما يتعلق بكيفية التعامل مع أصحاب الحوانيت المكتراة في حالة جوائح طبيعية أو بشرية أو قلة البيع، التي تؤدي إلى فسخ العقود في هذه الحالة.[1]

كما تعتبر كتب النوازل وما تحتويه من أقوال الفقهاء أحكاماً تنظم الأسواق من الغش والتدليس، مثلما ذكره أحمد بن يحيى الونشريسي عند حديثه عن معاملات البيع والشراء مع فرض الضرائب وتحديد قيمة الربح، وذكره للعديد من المسائل الفقهية التي أشارت إلى كيفية دفع ثمن السلعة، وهل يجوز بيع الذهب بالذهب أو سلعة بنفس السلعة؟ أو سلعة مقابل عمل أو خدمة، أو بيع بأكثر من ثمن الحاجة.[2]

وفي ذكر أحوال الناس حول أحكام السوق، نجد يحي بن عمر بن لبابة صاحب كتاب أحكام السوق الذي اختصر فيه أحوال السوق والمعاملات، من أحكام يجب أن تطبق مثل: المكيال والميزان والأقفزة والأرطال والأواني وغيرها، ومراقبة أحوال أصحاب الحرف والصناعات من الغش والتدليس، ونهى أصحاب الملاهي ومنع الذين يبيعون الخمر وصاحب الحمام، وكذلك منع بعض العادات منها: البكاء وراء الـميت حتى وصوله إلى المقبرة ... الخ.[3]

فيجب علينا التنبيه إلى أنّ بعض المؤرخين والمستشرقين الذين قاموا بالتنقيب على التراث العلمي الإسلامي النوازلي، خاصة كتابي المعيار للونشريسي والدرر المكنونة في نوازل مازونة، نجدهم لاحظوا أن لكتب النوازل قيمة علمية في التاريخ الإسلامي، فنذكر منهم على سبيل المثال: "لوبثأورتيث" والمستشرق "سلفادور بيلا" فهما مستشرقين إسبانيين ثم المستشرقين الفرنسين "ليفي بروفنسال" و"جاك بارك" إضافة إلى المؤرخ البحاثة "محمود علي مكي" الذي أصدر تحقيق بعض الفتاوى المختصة في أحكام السوق في بلاد المغرب الإسلامي.[4]

---

[1] المصدر نفسه، ج07، ص ص451 – 452. أنظر/ الملحق رقم 01، ص121.

[2] المصدر نفسه، ج 06، ص ص193 -197.

[3] المصدر نفسه، ج 06، ص 406.

[4] كمال الدين أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 09. أنظر/ الملحق رقم 02، ص122.

سئل الفقيه أبو محمد بن أبي زيد عن "رجل له ساقية ماء تشق أرض رجل فأراد رب الساقية أن يحولها إلى جانب آخر وأبى عليه رب الماء وكيف إن لم يكن على رب الماء ضرر في تحويله شيء من جريه أو قربه أو بعده وهو في ذلك سواء"؟

فأجابه الفقيه بقوله: "ليس ذلك لواحد منهما إلا برضا صاحبه واعتل في ذلك بأنه إذا أراد رب الأرض تحويل الساقية في ناحية أخرى من أرضة ولا ضرر على الماء في ذلك قد يطول الزمان وتَسْتَحِقُّ تلك الناحية التي حول الساقية إليها فيبطل حق هذا في ساقيته. وأما إذا أراد رب الساقية وأبى رب الأرض فالرواية فيها معروفة وإلى الأخذ بها رجع مالك رحمه الله".[1]

ومن الفقهاء وأقوالهم حول المياه فنجد مثلا: الونشريسي الذي تحدث حل نظام المياه ومعالجة المشاكل المتعلقة بها في وقت نقص المياه أو وفرتها وكيفية توزيعها والمشاكل المترتبة في تنظيمها، التي صنفها في عنوان المعنون ببقية نوازل المياه في حوالي فصل[2]، ونجد معلومات قيمة بالنسبة للباحثين حول النشاط الفلاحي في العصر الوسيط من خلال النوازل الفقهية التي تتعلق بالأسئلة والأجوبة، وكذلك البيوع ونظامها في الأسواق، ومحاربة الغش والفساد الذي يصدر عن الباعة مثل: المبادلات التجارية من حيث الأسعار والنقود المدفوعة والمكاييل والأوزان وغيرها.

وبالإضافة إلى المصادر التاريخية الأخرى اهتمت كتب النوازل والمناقب والسير والفقه والأجوبة بالجوائح الطبيعية والأوبئة وأشارت إلى ذلك من خلال النوازل الفقهية وأقوال الفقهاء والمحدثين والنصوص في هذا الباب خاصة أثناء وقوع الكوارث الكبرى والجوائح العامة الشاملة.

فقد سئل فقيه عمن أفسد وأكلت مزرعته من قبل أبقار أو أغنام أو دجاج جاره، فهل يدفع ثمنها أو لا؟ فأجاب: هذه جائحة وإن كانت في النهار فعلا صاحب المزرعة يؤمنها وإن كانت في الليل فالراعي يدفع ثمنها، لأن الراعي هو حارس هذه الحيوانات[3].

---

[1] الونشريسي، المصدر السابق، ج 06، ص 398.

[2] المصدر نفسه، ج 08، ص ص379 - 434.

[3] المصدر نفسه، ج 09، ص 548. أنظر/ الملحق رقم 04، ص 124.

وجاء في دراسة متخصّصة في هذا المجال تحدثت عن مسائل السقي واستغلال المياه بشكل دقيق في مقاله حول قضايا المياه بالمغرب الأوسط من خلال نوازل المازوني، حيث ذكر مصادر المياه التي كانت محلّ استغلال الساكنة منها المياه السطحية (الأنهار، الأودية، السدود، الغدير) فهذه المصادر ساهمت في ازدهار المغرب الأوسط وخاصة الجهة الغربية تلمسان من الثروة الفلاحية[1]، "حيث سئل الفقيه أبو الفضل العقباني عن ماء معد لسقي جنة محبسة تهدَّمَ سد مائها وتعطلت جاريته حتى تعذر ذلك بإصلاحه تعذرًا لا تمكن إعادته إلا بقوة سلطانية ونفقة كبيرة، مع أن غلاة الحبس تقصر عن ذلك بمألوف العادة، ومنذ تهدم السد المذكور لم يحصل بذلك الماء انتفاع لا بصرفه لجنة أخرى محبسة ولا باكترائه لأحد، من أي باب الجنات التي حواليه، بل هو يتدفق من الشعاب والخنادق، فهل يسوغ لناظر بيع هذا الماء لعدم انتفاع الحبس به أو يعاوض به في أصل تعود على الحبس منه فائدة ويترك على ما هو عليه.

فأجاب: - الحمد لله- إن كان كما ذكر من تهدم مسيل الماء، وعدم القدرة على جبره، فلا بأس بالمعاوضة بمكان يعود على الحبس منه نفع ويمضي المعاوض به الماء حبسا، ولاكن إنما يمضي الحاكم ذلك بعد أن يثبت عنده الجواب، ويتعذر الجبر، وتثبت الغبطة في العوض الذي يكون للحبس، والله الموفق بفضله"[2].

وتشير دراسة مهمّة عن المياه الباطنية منها العيون والآبار والعناصر وغيرها، التي اعتمدها الفلاحون لسقي المزارع والبساتين من أجل إحياء النشاط الفلاحي، حيث أشار إلى العديد من المسائل التي ذكرها المازوني وكذلك أبو الفضل العقباني: "عن جماعة من المرابطين أنعم السلطان عليهم بإزواجة للحراثة وعليها عيون ماء، فاقتسموا الأزواج والعيون، فصار كل منهما يستغل مصح له بالقسمة من الأرض، وبما نظر له من الماء مدة طويلة، فبعدها غار ماء تلك العيون ، وتضرر أصحابها وأرادوا القيام على أصحابهم وأن يأخذوا من مياههم ما يحصل لهم به الانتفاع فيما يحرثونه، فهل تصح لهم مطالبتهم بذلك بعد القسمة.

[1] نورالدين غرداوي، قضايا المياه بالمغرب الأوسط في العهد الزياني من خلال نوازل المازوني، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد 09، العدد 01، 2008م، ص 38.

[2] المرجع نفسه، ص ص40 – 41.

فأجاب: - الحمد لله- إن كان اقتسامهم هذا لأجل الأرض، فأغار من الماء بعد ذلك فمصيبتهم على من وقع في سهمه، وإن كانت القسمة ليست في الرقبة ... في المنافع، لنهي الانتفاع، كان لمن غار ما أرضه القيام في نقض القسم، والله الموفق"[1].

فهذه النصوص النوازلية المذكورة وأحكامها تتحدث كذلك عن النشاط الفلاحي في بلاد المغرب الأوسط مثل الملكيات الزراعية وطرق استغلالها وكذلك الإرث والبيوع والمعارضة وعلاقة أرباب العمل بالعمال[2]، وتقسيم العمل بين العمال، وكمية الإنتاج وبيعها، وعلاقة المدن بأهل البادية والمعاملة معهم، وكيفية تقسيم المياه في السواقي والسدود والأودية وغيرها، ومن هذه التعاملات والمشاكل التي طرأت على النشاط الفلاحي زادت علاقة أهل البادية مع الفقهاء من أجل إعطائهم حلول للنازلة أو الشدة الواقعة عليهم، فكانت هذه الفتاوى التي تقدم للفلاحين وأهل البادية في بلاد المغرب الأوسط تأخذ من النصوص الشرعية، حيث تلازمت وتمسك مجتمع المغرب الأوسط بفقهاء المالكية الذين تميزوا عن باقي المذاهب الأخرى، في المعاملة مع الناس العامة والفلاحين وإيجاد الحلول لكل المشاكل التي وقعت في الفلاحة.

3.3.3 كتب النوازل وقيمتها الفكرية والثقافية

يفيد المتخصّصون في ميدان استخلاص المادّة التاريخية من المصادر النوازليّة أن كتب النوازل التي ظهرت خلال العصر الوسيط لها قيمة كبيرة من أجل فهم التاريخ المغاربي في مختلف جوانبه، خاصة الثقافية، حتى أصبحت بلاد المغرب الأوسط والأدنى مسقط رأس الفقهاء المهاجرين من كل بلاد، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر، نجد الفقيه الشيخ محمد الدكالي، والشيخ عمر الرجراجي، وبالكاد نشبت في هذه المنطقة العديد من الحوارات والنقاشات الفقهية الحادة بين الفقهاء الوافدين عليهما.[3]

---

[1] المرجع نفسه، ص 44. أنظر/ الملحق رقم 04، ص 124.

[2] نورالدين غرداوي، كتاب الجامع للقاضي أبو زكرياء يحي بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني المتوفي سنة 883هـ / 1478م، المرجع السابق، ج01، ص 70.

[3] محمد المنوني، المرجع السابق، ج02، ص 114.

تحتوي كتب النوازل على مجموعة كبيرة من الأسئلة والأجوبة تخص شتى مجالات الحياة التي يعيشها الإنسان من قديم الزمان حتى يومنا هذا ومستقبلنا، نذكر على سبيل المثال بعض الأسئلة المتعلقة بالنوازل التي ترتبط بالتعليم والتدريس في المساجد والكتاتيب حيث يظهر منها المنحى الثقافي العام لبلاد المغرب الأوسط.

فتفيد نازلة فريدة في قيمتها العلمية والثقافية والحضارية جاءت في المعيار حول صفات المعلّم و المدرّس الذي يتولّى تعليم الأطفال، وجاءت النازلة بما يشبه القانون الضابط للعلاقة ما بين المعلّم والمتعلّم فقد وصف الونشريسي في قوله (وينبغي أن يكون المعلّم مهيبا لا في عنف، لا يكون عبوسا مغضبا ولا مبسوطا مرفقا بالصبيان دون لين، وينبغي أن يخلص أدب الصبيان لمنافعهم، ولا يجعل شيئا من ضربه لقبضه و يريح قلبه من غيضه، فإن فعل فإنّما ضرب أولاد المسلمين وليس من العدل...) ثمّ يبيّن صفة الضرب بأن يكون (لما علم بينهم من الحميّة إلاّ من يعلم منه علم التجاوز فيسعه التخلّف مع العذر ولا يضربه على رأسه ووجهه، إذ هو غرر يصيب الدّماغ أو يضرب العين أو يؤثّر أثرا قبيحا، والضرب في ساق الرجلين آمن ...و يجتنب الضرب بالعصا و اللوح...)[1].

تعتبر كتب النوازل ذات قيمة علمية وأدبية في الحياة والسلوك الإنسانية ببلاد المغرب الأوسط عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصة، وهو حيث ظّلت الدراسات والفتاوى والفقه الناتج عن الفقهاء متواصلاً حتى القرن التاسع هجري، مثل نوازل المازوني والبرزلي وابن الحاج والونشريسي[2]، وأبي عبد الله سيدي المهدي الذي قال: "سئل الحائك أيضا عن تصحيح ما أفتى به غيره من أن المهملة البالغ إذا تزوجت ودخل بها زوجها ومكثت معه سنة فإنها تحمل على الرشد"، فقدم إجابته لسائل حيث قال: "إن المذكور صحيح في المهملة، به جرى العمل في مجهولة الحال كما لأبي على وغيره"[3].

[1] الونشريسي، المصدر السابق، ج 8، ص250.

[2] مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 50.

[3] أبي عبد الله سيدي المهدي، المصدر السابق، ج03، ص 192.

ومن جهة أخرى خفت ذكر توصيف المدارس والكتاتيب ببلاد المغرب الأوسط من خلال النوازل الفقهية لقولها: "ولو أنّنا اعتمدنا على نوازل المعيار في تصور نشوء المدرسة، لوجدنا صمتا تاما عن ذكر المدارس حتى القرن السابع هجري".[1]

جاء في قول حسن الوزان: "وكثيرا ما يتلهى في المساجد يوم الجمعة في الوقت الذي يجتمع عادة ألاف الأشخاص، فإذا وصل الخطيب إلى أحسن فقرة في خطبته واتفق أن سعل آخر(ثم آخر) وهكذا حتى يسعل الجميع في نفس الوقت تقريبا إلى نهاية الخطبة فيفترقون دون أن يسمع أحدا إليها"[2].

نرى ابن صعد وأسرته العلمية التي تقربت من السلطة الزيانية ذات التيار الصوفي، فبدأ بنشر العلم وإلقاء المحاضرات الدينية والفقهية، ففي هذه الفترة الوجيزة من الزمن اجتاح الوباء والطاعون الذي أزَّم هذه الفترة، فتدهورت الأوضاع وانعدم الأمن والاستقرار وانحرف الناس إلى الطريق الخاطئ، فأراد ابن صعد تغيير هذه الأوضاع إلى الأحسن وهذه الفكرة غاية التيار الصوفي والسلطة الزيانية، فبدأ بنصح والإرشاد لناس عامة وتوعيتهم بأن هذا الوباء سوف يزول أما الأخلاق فتدوم عليكم بالتمسك بالدين الإسلامي وأخلاقه والابتعاد عن الأعمال الدنيئة والتي تهلك المجتمع وتغضب الله سبحانه وتعالى[3].

وعن مسألة تنظيم أجور المعلّمين ومكافآتهم سئل الفقيه عبد الحق بن سبعين من طرف الشيخ أبي على السماط عن أجور التعليم و"الحذقة" حيث قال: "أرأيت ما روي عن سحنون أنه قضى بسبعة دنانير في ختمة البقرة" ؟ أجابه الشيخ حيث "قال هو ضعيف. وعن ابن حبيب يقضى بالحذقَة بالنظر والظاهر بقدر ما يرى من مال الأب ويسره وقوة حال الولد من حفظه وتجويده لأنها مكارمة جرى عرف الناس عليها، إلا أن يشترط الأب تركها، فإن أخرج الأب ابنه قرب الحذقة وإن بقي منها ماله قدرٌ وبالٌ كالسدس ونحوه سقط، وليس له حساب ما مضى منها، وإن شرط المعلم الحذقة لم يجز دون تسمية، وإن أخرج الأب ابنه قبل بلوغها لزمه بحساب ما مضى ولو قل[4].

---

[1] مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 50.

[2] حسن الوزان، المصدر السابق، ج01، ص 84.

[3] الطاهر منزل، المرجع السابق، ص ص90 – 91.

[4] الونشريسي، المصدر السابق، ج 08، ص ص238-240.

سئل أبو زيد سيدي عبد الرحمان الحائك: "عن النظر فيما كتبه بعض حذاق تلامذته جواب سؤال نصه الذي لابن سلمون عن ابن الحاج ما نصه: إذا أراد الرجل القيام بالحسبة على وصي إلى نظر أيتام بإيصاء أبيهم ليعلم مقدار ما خلف أبوهم عنده لهم ويوقفه أيضا على ما تركه المتوفي فله ذلك، وسواء كان الوقف ممَّن يرث الأيتام أو لا يرثهم، وإن أنكر الوصي بعض ما يوقف عليه ولم تكن له ببينة فعليه اليمين، وإن كانت الوصية أم الأولاد دخله الاختلاف في تحليفها لهم"، فأجاب عن السؤال حيث قال: "إنه صحيح، وقد تكلم على محاسبة الوصي، الحطاب وغيره"[1].

وتفيد العديد من النوازل عن أحوال التعليم و التدريس في البوادي و القرى أن التعليم كان في دور العلم المتمثلة في البيوتات العلمية والدور والمكتبات والزوايا والمساجد، فالتعليم من طرف المشايخ والفقهاء الذين تخرجوا من طرف مشايخهم بإجازة، وكذلك من طرف الأسر العلمية المتواجدة في بلاد المغرب الإسلامي عامة وبلاد المغرب الأوسط خاصة نذكر منهم: أسرة أبناء الإمام وأسرة ابن مرزوق وابن قنفذ وغيرهم، حتى أن أصبح المغرب الأوسط يمثل مركز إشعاع علمي[2].

وتشير العديد من النوازل بأن بلاد المغرب الأوسط أصبحت منطقة خصبة للبحث العلمي والاجتهاد في المسائل والمناظرات الفقهية، وسكانها تمسكوا بالمذهب المالكي وتشبثوا به، وهذا يعود إلى تشجيع الحكام والأمراء لمجتهدي هذا المذهب على المذاهب الأخرى، وعليه أصبح فقهاء المغرب الإسلامي بصفة عامة والمغرب الأوسط بصفة خاصة يبنون اجتهاداتهم على طريق الامام مالك مثل: ما بلغ إسماعيل القاضي درجة الاجتهاد ولم يخرج عن مذهب مالك".[3]

بالرغم من انتشار مذاهب أخرى على غرار مذهب الخوارج والشيعة الإسماعيلية إلا أن سكان المغرب الأوسط تمسّكوا بالمذهب السني المالكي، الذي بقي راسخا في أذهانهم إلى يومنا هذا، فلهذا كانت المناظرات الفقهية تقوم دائما بين فقهاء السنة وفقهاء المذاهب

[1] أبي عبد الله سيدي المهدي، المصدر السابق، ج03، ص 193.

[2] كمال الدين أبو مصطفى، المرجع السابق، ص ص113 إلى 122.

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج 02، ص 170. أنظر/ الملحق رقم01، ص 121.

الأخرى، وظهرت حركات مناوئة وأخرى مؤيدة، إلى أن أصبحت هذه المنطقة أرض خصبة لزرع الأفكار، فتتبلور وتصبح مذهب أو فرقة، مثل: المتصوفة.

وبعد نشوء المساجد والزوايا بدأ المحدثين والفقهاء بتنوير عقول الناس وإبعادهم عن كل ما هو مخالف لدين الله تعالى وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وتجسد ذلك في تدوين وتأليف كتب النوازل.[1]

لقد أدركت أخيرا جلّ الدراسات التي التفتت إلى اعتماد الكتابات النوازلية كمادّة تاريخية وعرفت قيمتها العلمية، فهي ليس موسوعة فقهية فقط بل شاملة إلى جميع مجالات الحياة ودراستها، واعتمد عليها جل الباحثين والمؤرخين، لهذا شكلت كتب النوازل الفقهية قوة علمية في الحياة اليومية لا تضاهيها علوم أخرى، فالنوازل الفقهية لها قيمة كبيرة في بلاد المغرب الأوسط كونها كانت المرجعية الأساس لأهل المنطقة تحدّد لهم مسارات حياتهم، وتحلّ مشاكلهم، وتضبط علاقاتهم على عديد الأصعدة[2].

4.3.3 كتب النوازل وقيمتها السياسية

من الممكن جدّا أن نجد مسائل تخصّ بعض القضايا السياسية من خلال النوازل الفقهية التي حدثت ونشبت في بلاد المغرب الإسلامي سواء من الداخل أو خارج البلاد، من طرف الفقهاء الذين أرادوا إيجاد حلول للأوضاع السائدة وإرجاعها للنصوص والإجماع، مثلما نجد هذه القضايا عند بعض الفقهاء مثل: نوازل البرزلي، والمازوني، وابن الحاج، والونشريسي الذي ناقش قضية قبول خطاب المدّجنين وقضاتهم الذين كانوا تحت إيّالة النصارى[3]، مثلما تحدث الفقيه الونشريسي عن شخصية المتمرد عمر بن حفصون[4]، وحاشيته التي كانت متمردة على الدولة الأموية حتى أن أصبحت محاورتهم لا تقبل ولا شهادتهم فصنفهم الفقهاء مع النصارى، وذلك مذكره ابن قوطية في تأليفه تاريخ افتتاح الأندلس، ويوجد

[1] كمال الدين أبو مصطفى، المرجع السابق، ص ص93 - 109.

[2] محمد أمين بوحلوفة، المرجع السابق، ص 60.

[3] مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 48.

[4] ابن عذارى المراكشي، المصدر السابق، ج01، ص 149.

الكثير من الأحداث السياسية المعالجة في النصوص الفقهية من خلال الفقهاء الذين عاشوا في هذه الفترة، وكذلك الشخصيات البارزة وطوائف هذا العصر[1].

يذكر الفقيه أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني أن بلاد المغرب الأوسط تعرضت للعديد من المرات للمجاعة والطاعون الأسود الجارف الذي هلك الناس[2]، مثل: مجاعة تلمسان سنة (776هـ / 1373م).

أما الفقيه الونشريسي فقد جاء عنده في نازلة أنه عندما يتأزم الجانب الاقتصادي من خلال الجوائح الطبيعية أو الصراعات البشرية فتكثر المجاعات وتنتج عنها الأمراض[3].

5.3.3 كتب النوازل وقيمتها العسكرية

تشير كتب النوازل إلى قضايا ومسائل تتعلق بالحياة العسكرية، منها قضايا الجهاد مثل: ما جاء في المدونة الجوائح الطبيعية التي تأتي من عند الله تعلى منها: "الجراد والنار والريح والغرق والبرد والمطر والطير والدود وعين الشجرة في الحر والسموم" فهم جوائح، أما الناس واللصوص والعسكر إن لم يعرفوا فهذا يعتبر جائحة، أما الفقيه ابن نافع قال: اللص هو جائحة، أما الفقيهان ابن رشد والباجي ذكر بأن العسكر ليس بجائحة كاللص، أما الفقيه عبد الحق قال: السارق إن لم يعرف جائحة، وإن عرف يغرم ويدفع لشاري وليس جائحة، قال الفقيه ابن رشد:" أن لا جائحة في السارق ولا ما يأخذه السلطان"[4]، فكان الفقهاء يذهبون إلى بعض المسائل الحربية التي تحتوي على مسائل مهمة، إلى أن أصبح الفقهاء يخرجون إلى المناطق للرباط في سبيل الله، حيث كان أهل البلاد ينتظرون الفقهاء بعد عودتهم من الربط لطرح بعض الأسئلة عليهم، في شتى المجالات وبدور الفقهاء الإجابة على كل ما طرحا عليهم[5].

فهناك بعض الفقهاء يعتبرون السارق جائحة ومنهم من لا يعتبر أنه جائحة بل يغرم السارق ويحبس، فتمثل السارق في سرقة أملاك الناس والدولة[6]، لذلك قال الفقيه مالك بعد

---

[1] مسعود كربوع، المرجع السابق، ص 48.

[2] أبو عبد الله محمد بن مرزوق التلمساني، المصدر السابق، ص 50.

[3] الونشريسي، المصدر السابق، ج11، ص 185.

[4] ابن رشد القرطبي المالكي، المصدر السابق، ج1، ص 1615.

[5] الونشريسي، المصدر السابق، ج 10، ص 382.

[6] مختار حساني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبو زكرياء يحي المغيلي المازوني،ج3، المرجع السابق، ص 255.

أن سئل عن جماعة من بلاد المغرب الأوسط تشكل خطرًا على أهل البلاد وسلب أملاكهم، قال: "في أعراب قطعوا الطريق جهادهم أحب إليَّ من جهاد الروم"، مما جاء في الحديث:" من قتل دون ماله أو دون المسلمين فهو أعظم لأجره"، حيث قال الفقيه ابن القاسم: إتباعهم وقتالهم، أما ابن سحنون قال: يتبعون ويقتلون بدون توبة، أما الفقيه أبو مهدي سيدي عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني قال: يقتلوا، من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم:[إن الله لا يقبض العلم ينتزعه انتزاعًا من الناس، ولكن يقبض الْعلم بقبض العلماء حتى إذا لم يُترك عالما اتخذ الناس رؤُوسًا فأفتواْ بغير علم فضلُّوا وأضَلُّوا] فطبقها على أهل الحرابة[1].

قال الله سبحانه وتعالى: {إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادًا أن يُقَتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو يُنفوا من الأرض ذلك لهم خزيٌ في الدنيا وله في الآخرة عذاب عظيم} المائدة 33[2]، فهذه الآية شرحها الإمام مالك والشافعي والثوري في كتاب الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية لأبي عبد الله محمد أبي أحمد ابن الشماع[3].

ومن النوازل التي طرحت على الفقهاء نجد: صرف الزكاة في الجهاد، حيث سئل المواق بالأندلس عن صرف الزكاة في الجهاد فأجاب: "هذا الذي انتدب إليه هؤلاء الفضلاء ليس بمبتدع، لمَّا نزل البرشلون المَرية، ونصب عليها برج عودين، أيد ارتفاع سور المدينة ست قامات، وقربه من سور المدينة، ودخل فيه خمسمائة من المدرعين فدهش منه المسلمون، فانتدب أهل الشورى وعدوا ستة النفر المذكورون وأطلقوا النار فيه فأحرق بجميع من كان فيه، فسُر المسلمون بذلك ورجع النفر الستة، وقال المسلمون: الذي وعدناكم به قليل في حقكم، ونحن نوزع ما وعدناكم به على الناس ... وأعود مكرمة، هؤلاء لمصلحة البلاد".[4]

---

[1] الونشريسي، المصدر السابق، ج06، ص ص153 – 155.

[2] سورة المائدة، الآية 33.

[3] أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشماع، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م، ص 134.

[4] الونشريسي، المصدر السابق، ج 07، ص 148.

الخاتمة

الاعتماد على مصادر الفقه ومدوّنات النوازل والكتابات المنقبية للبحث في موضوع ذو طابع اجتماعي اقتصادي، يعاني فيه الباحثين من انعدام المادّة المصدرية في كتب التاريخ العام، خاصة في موضوع الجوائح والأوبئة والكوارث الطبيعة كإشكالات تاريخية لا كمعضلات جغرافية طبيعية تتعلّق بالأرض وشكل السطح، وما يطرأ عليها من ظواهر قاهرة وإنّما من حيث تفاعل الفرد والجماعة معها إلى جانب مؤثّرات أخرى كحضور عامل السياسة والاقتصاد وأوعية الفكر والثقافة والدين.

انتقل التأليف في الفقه والنوازل والأجوبة الفقهية من مرحلة التأسيس في النصف الأوّل من الفترة الوسيطة إلى مرحلة التدوين والتصنيف وتبادل الاجتهادات وتعمّقها في تفاصيل الحياة الاجتماعية، وغدت تزداد غزارة وكثافة واختصاصا في ما يطرأ على تعقيدات تعاملات بنى المجتمع في ميادين حياتهم اليومية، فكان العلماء يرصدون كل تلك التعاملات للبحث عن تفسيرات فقهية لها ليتطوّر معها الفقه، ويختصّ بمهمّة مرافقة تطوّر مسار المجتمع خاصة فيما يطرأ عليه من نوازل حادثة، تستدعي اجتهادات معاصرة لها، وتقتضي من الفقهاء حلولا تبيّن الحقوق والواجبات.

ظهرت المدوّنات النوازلية الكبرى كنوازل المازوني صاحب تأليف الدّرر المكنونة في نوازل مازونة، والبرزلي صاحب تأليف جامع مسائل والأحكام لما نزل من القضايا بالمفتيين والحكام، وكتاب المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب للونشريسي الذي حوى اجتهادات شاملة لميادين الحياة في بلاد المغرب الأوسط، ومثّل دستورا جامعا لتفاصيل الفقه المالكي ليشكّل فيما بعد خاصيته المميّزة له عن باقي المذاهب الفقهية، فقد أشارت الكتب المتخصّصة في تاريخ المذاهب إلى سلاسة الاجتهاد الفقهي للمذهب وتوافقها

مع الانتقال المادي والحضاري لمعتنقيه المتمذهبين به في بلاد المغرب وإفريقيا وبلاد الغرب الإسلامي ككل.

إن دلالات حضارية عميقة صاحبت انتشار الفقه المالكي في بلاد المغرب الأوسط، بعد أن كان المغرب الأوسط على وجه الخصوص عرضة لأن تكون ملاذًا للمذاهب المضطهدة في الشرق الإسلامي، بداية من الإباضية إلى الشيعة الإسماعيلية التي كادت أن تقضي على المذهب المالكي السنّي الذي تدافع مع تلك المذاهب إلى غاية استقراره، ثم سيادته من جديد وثرائه وشموليته وتوغّله في حياة الساكنة، وتطوّر تفريعاته مع الرقيّ المادّي والاجتماعي لإنسان هذا الإقليم كما سجّلت ذلك مدوّنات الفقه والنوازل الفقهية.

إنّ المغرب الأوسط ورغم حالة التدافع السياسي والمذهبي التي سادته طيلة النصف الأوّل من الفترة الوسيطة، استطاع أن يوفّر مجالا خصبا لعمارة الفرد والجماعة لأرض هذا الإقليم، رغم قسوة مربكات الاستقرار التي ستكون الجوائح الطبيعية والأوبئة والقحوط أحد أهمّ المعضلات التي واجهت بنى المجتمع وأثّرت في استقرارها، وفي تغلّبها على مصاعب الحياة اليومية وعلى تحدّيات مربكات أنشطتها المعاشية التي ترتبط أساسا بالأرض والمياه وبالنبات الطبيعي وبالزروع والثمار والأنعام والحيوانات والدّواجن وبالحيوانات البرّية، وما ينشأ عنها من حركية تجارية هي عماد الاقتصاد وشريانه ومعيار جودة أدائه.

وبالإضافة إلى المشكلات الناجمة عن نزوع الأفراد والجماعات وأجهزة الحكم والتي سجّلت كتب التاريخ أنّها المؤثّر الرئيس في حالات الرقي والرفاه والاستقرار، وفي المدنية والعمارة سلبا وإيجابا إلاّ أنّ الجوائح الطبيعية كحالات الجفاف والسيول والقحط والجراد والأمراض الوبائية الكبرى، شكّلت عامل تأثير سلبي قوي ساهم بشكل رئيس في خلق حالة من الإرباك العام الذي يمسّ عامّة الناس مباشرة، وبالضبط الإضرار بطبقته الضعيفة المسئولة عن الأنشطة الأفقية للاقتصاد والتي كانت تتكفّل بالرّعي وبتربية الحيوانات وبالإنتاج الحيواني وبزراعة الأرض.

وإذا كانت أجهزة الحكم تجد صعوبة في مواجهة تلك الأخطار الطبيعية الكبرى، فإنّ طبقة العامة ستكون أكثر عرضة للتدمير والتفكّك عندما تتهاوى قدرتها على حماية مقدّرات عيشها، خاصة في ضلّ شحّ موارد الدّولة جرّاء استنزافها في الحروب والفتن والمقاتل والصراعات الداخلية والخارجية التي طبعت تاريخ بلاد المغرب الأوسط.

لقد ساهمت المرجعيات الدينية والفقهية كالمتصوفة وشيوخ الزوايا كما أفادت بذلك كتب المناقب والسير والفتاوى في التقليل من آثار تلك الكوارث على الفئات الضعيفة، فكان كبار المتصوّفة يجمعون المعدمين في دورهم وفي مساجدهم وفي مدارسهم وزواياهم ويطعمونهم، حدث ذلك في بجاية وفي تلمسان بوصفهما مدينتان عرف فيهما كبار الصوفية استقرارا وظهرت التصوّف كمنحى تعبّدي تغلغل بصورة شكّلت سمة مميزّة للعباد والزهاد والنسّاك، فلا تجد الفقيه إلا صوفيا في النصف الثاني من العصر الوسيط.

لم تكن جهود أرباب الفكر والقلم والدّين وحدها في مواجهة أخطار تلك الكوارث على المجتمع، فقد ساهم الأمراء الحفصيين والزيانيين في تذليل صعوبات تلك الكوارث وفتحوا المارستانات ودعّموها بالمطببين والخدم للتقليل من آثارها المجتمعية على فروق بين الأمراء والحكّام، كما ساهم الأطباء في توفير مستلزمات التطبيب وظهرت التآليف في هذا المجال تتبارى في توفير العلاجات الطبيعية للأوبئة الجماعية خاصة البكتيرية والفيروسية منها، خاصة المستجلبة منها من الأندلس مع بداية الهجرات الكبرى إلى بلاد المغرب على إثر حروب الاسترداد المسيحي.

إنّ آثار تلك الكوارث الطبيعية على بنيات المجتمع ستكون شيئا منطقيا نظرا لعظم الكوارث الطبيعية وفجائيتها، وشدّة واطئتها على الفرد والجماعة والدّولة، كما أنّ قوّتها واستحكامها ستزداد شدّة عند تحالف عوامل أخرى معها لتضعف من المسار الطبيعي للدولة و للأمّة ككل، وتجعلها عرضة للتخلّف والتأخّر والانكماش.

ورغم ذلك لم تكن الكوارث ستشكّل خطرا عميقا يؤثّر بقوّة في حالة التردّي الحضاري والمادي والفكري العميق لبلاد المغرب الأوسط ، ذلك أنّ توجّها فكريا عميقا سيطر على مرجعيات الدين والعلوم والثقافة حيث انتشر التصوّف العامّي بين العامّة وانتقل من المدن إلى الأرياف عن طريق الزوايا، وشاع الجهل والخرافة والإيغال في الإيمان بالكرامات وشاع التواكل والتقاعس والزهد في المادّيات وفي عمارة الأرض، وسيطر التصوّف في صورته الخرافية على علوم الدين وتدحرجت العلوم العقلية إلى الحضيض، ولم تستطع مسايرة الزمان وفشلت في تسخير المادة لعمارة الأرض، وقد ظهر ذلك جليا عند هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب، ولاحظوا حالة التردّي المادّي العميق لبلاد المغرب مقارنة بالأندلس ووجدوا

صعوبات في الاندماج في الحياة الاجتماعية و في الانخراط في الأنشطة الاقتصادية الصناعية والحرفية.

إنّ أطر الفكر والمعرفة والعلوم والثقافة ستضلّ هي المسئولة عن قيادة قاطرة التقدّم وحل مشكلات التنمية في كلّ العصور والأزمنة، فمخرجات أفكار النخب يجب أن تعرف لها مجالا تنفيذيا خصبا على أرض الواقع كي تكون للعلوم و المعارف والأبحاث جدوى.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- سورة البقرة ، الآية 215 – 217 – 159-219.
- سورة المائدة، الآية 04.
- سورة الأعراف، الآية 187.
- سورة الأنفال، الآية 01.
- سورة يوسف، الآية 46.
- سورة النحل، الآية 43.
- سورة الإسراء، الآية 85.
- سورة الكهف، الآية 22، 83.
- سورة طه، الآية 105.
- سورة الرحمان، الآية 17.
- سورة النازعات، الآية 42.

الأحاديث النبوية الشريفة

- البخاري أبو عبد الله محمد إسماعيل، صحيح البخاري، دار ابن كثير، دمشق، سوريا، 2002، رقم 394.
- الحديث النبوي، أخرجه الدارمي في كتاب البيوع 02/ 246.

المصادر

– ابن القاضي، درة الحجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمر أبو الثور، دار الكتب، الجزائر، ج01، 1971م.

– ابن حوقل النصيبي أبي القاسم، صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت لبنان، 1992م.

– ابن خلدون عبد الرحمان (ت808ه/ 1405م)، العبر ودوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الكتاب اللبناني لطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1959م.

– ابن خلدون عبد الرحمان، العبر ودوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1431ه/ 2009م.

– ابن خلدون عبد الرحمان، المقدمة ابن خلدون، تح: خليل شحادة وسهيل زكار، ط01،دار الفكر، بيروت، لبنان، 2001م.

– ابن خلدون يحي، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، مطبعة بيير فونطانا الشرقية في الجزائر، الجزائر، 1321ه/1903م.

– ابن رشد القرطبي المالكي أبي الوليد محمد بن أحمد بن أحمد (520ه/1126م)، فتاوى ابن رشد، تح المختار بن الطاهر التليلي، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1987م.

– ابن مرزوق التلمساني أبي عبد الله محمد، المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المملكة المغربية، المغرب، 2008م.

– أبو عبيد البكري (ت487ه)، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، مصر، دت.

– الأصبع عيسى بن سهيل بن عبد الله الأسري (ت486)، الإعلام بنوازل الأحكام المعروف الأحكام الكبرى، تح نورة محمد عبد العزيز التويجري، دار بلد، 1995.

–الإصطخري أبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي، مسالك الممالك، مطبعة بريل، ليدن ألمانيا،1927م.

– البرزلي أبي القاسم، فتاوي البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من قضايا المفتيين والأحكام، تح محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.

– التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر والعقبان في بيان شرف بني زيان، تح محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب والمكتبة الوطنية الجزائرية، قسنطينة، الجزائر، 1985م.

– التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تح محمود أغا بوعياد، تلمسان، الجزائر، 2011م.

– الثعالبي أبي يزيد، تفسير الثعالبي، جواهر الحسان في تفسير القرآن، تح عبد الفتاح أبو سنة، دار حياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1997م.

– الجوهري سيرى، جغرافية البحر المتوسط، دار المعارف بالإسكندرية، مصر، 1984م.

– زاكور الفاسي (ت1120هـ/ 1708م)، رحلة المسماة نشر أزهار البستان فمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء أكبار الأعيان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.

– الزليطي الحلول، المسائل المختصرة من كتاب البرزلي، تح محمد أحمد الخليفي، ط1، دار المدار الإسلامي، بنغازي ليبيا، 2001م.

– الزهري عبد الله محمد، كتاب الاستبصار في عجائب الامصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد، دار انشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب، 1985م.

– الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي، من آثار فقهاء الأندلس فتاوى الإمام الشاطبي أبي إسحاق إبراهيم بن موسى الأندلسي صاحب الموافقات والاِعتصام (ت790 هـ/ 1388م)، تح: محمد أبوا الأجفان، دار الكواكب، تونس ، 1985 م.

– الشماع أبو عبد الله محمد بن أحمد، الأدلة البينة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر المعموري بن محمد، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م.

– عبد الحكم (ت285هـ)، فتوح مصر و المغرب، تح: علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2004م.

– القلقشندي أبي العباس محمد، صبح الأعشى، دار الكتب الخديوية، القاهرة، 1915م.

– كربخال مارمول، إفريقيا، تر محمد حجي، دار المعارف الجديدة، الرباط، ج02، 1989م.

– المراكشيّ ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: ج. س. كولان و إ. ليقبروقنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1983م.

– الوزان الزياني (ليون الإفريقي) الحسن بن محمد، وصف إفريقيا، تر: عبد الرحمن حميدة، كلية العلوم الاجتماعية بجامعة محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1399م.

– الوزان حسن، وصف إفريقيا، تر محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 1983م.

– ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي الشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1977م.

– اليعقوبي (ت3284هـ)، البلدان، دار العلمية، بيروت لبنان، 2002 م.

المراجع

– بن حميدة عبد الرحمان، أعلام الجغرافيين ومقتطفات من أثارهم، دار الفكر، دمشق، 1995م.

– بن قربة صالح، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، طبعة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.

– بن قربة صالح، تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، وزارة المجاهدين، دار المركز الوطني لدراسات والأبحاث في الحركة الوطنية، الجزائر، 2009م.

– بوتشيش عبد القادر، العلاقات الإنتاجية بين المزارعين وأرباب الأراضي في المغرب والأندلس خلال القرن (06هـ/ 12م)، دار الطليعة، بيروت لبنان، 1422هـ/ 2002م.

– تلسي بشير رمضان، الاتجاهات الثقافية في المغرب الإسلامي، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2003م.

– التهامي إبراهيم، جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة أهل السنة، مؤسسة الرسالة ناشرون، لبنان، 2002م.

– الجيدي عمر، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، مطبعة المعارف الجديد بالرباط، الرباط، 1993م.

– حجي محمد، نظرات في النوازل الفقهية، الجمعية المغربية للتأليف والنشر، مطبعة الجديدة، الدار البيضاء، 1999م.

– الحريري محمد عيسى، المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني، دار القلم لنشر والتوزيع، الكويت، 1987م.

– الخفاف محمد علي والمومني محمد أحمد عقيلة، دراسات في التراث الجغرافي العربي الإسلامي، دار الكندي النشر والتوزيع، الأردن، 2000م.

– دبوز محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، دار علم المعرفة، الجزائر، 2013م.

– دّلو برهان الدين، مساهمة في إعادة كتابة التاريخ العربي الإسلامي، دار الفرابي، الجزائر، 2001م.

– دويب عبد الرحمان، الأعمال الكاملة للشيخ المهدي أبوا عبدلي، تر الشيخ المهدي أبوا عبدلي ويلة، قسم التراجم، دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013م.

– سعد زغلول عبد الحميد، تاريخ المغرب العربي من الفتح: إلى بداية عصر الاستقلال، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، 2003م.

– سعدون عباس نصر الله، دولة الأدارسة في المغرب، دار النهضة العربية بيروت، 1987م.

– شاوش محمد بن رمضان، باقة السوسان في تعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011م.

– شلبي أحمد، الفكر الإسلامي، دار العلوم، القاهرة، سنة 1986م.

– الصمدي مصطفى، فقه النوازل عند المالكية تاريخياً ومنهجاً، دار مكتبة الرشيد، المملكة العربية السعودية الرباط، 2007م.

– عبد الله محمد جمال الدين، الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب، القاهرة، مصر، 1991م.

– فخري مرسي نجاة، عباقرة من التاريخ، أنيس مرسي، بيروت، لبنان، 1994م.

– الفندي جمال، الجغرافيا عند المسلمين، بيروت، لبنان، 1982م.

– فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية، رغاية، الجزائر، 2002م.

– محمد حسن، الجغرافيا التاريخية لإفريقيا، دار الكتب الجديدة المتحدة، بنغازي ليبيا، 2003م.

– محمدين محمد محمود، التراث الجغرافي الإسلامي، دار العلوم، المملكة السعودية، 1999م.

– مختار حساني، الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبو زكرياء يحي المغيلي المازوني، ج1، مخبر المخطوطات، قسم التاريخ كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2004م.

– مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية (الأحوال الاجتماعية)، ج3، دار الحضارة، الجزائر، 2009م.

– المواق محمد والرصاع محمد، الأجوبة التونسية على الأسئلة الغرناطية (886هـ-1481م)، نص جديد حول الأندلس وإفريقية قبل سقوط غرناطة، تح: محمد حسن، دار المدار الإسلامي، بنغازي، ليبيا، 2007م.

– مؤنس حسن، ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، القاهرة، مصر، 2003م.

– الميلي محمد مبارك، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان، 2007م.

الرسائل الجامعية

– بركات إسماعيل، الدرر المكنونة في نوازل مازونة أبو زكرياء يحي بن موسى بن عيسى بن يحي المغيلي المازوني (883هـ/1478م)، عبد العزيز فيلالي، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ وأثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، 2009 – 2010م.

– بن خروف عمار، العلاقات بين الجزائر والمغرب (922– 1069هـ/1517- 1659م)، ليلى الصباغ، مذكرة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة دمشق، 1403هـ/ 1983م.

– بوحلوفة محمد أمين، أهل الذمة في المغرب الأوسط من خلال نوازل الونشريسي، بوركبة محمد، تاريخ وحضارة إسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2013 – 2014م.

– بوساق رحيمة، دور المكتبات في نشر العلوم بالمغرب الأوسط تاهرت الرستمية (2– 3 هـ/ 8– 9م) وتلمسان الزيانية (8– 9هـ/ 14– 15م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2017 – 2018م.

– البياتي بان علي محمد، النشاط التجاري في المغرب الأقصى خلال القرن (03/ 06 هـ)، صباح إبراهيم الشيخلي، قسم التاريخ، كلية التربية للبنات، بغداد، 2004م.

– حوالة يوسف بن أحمد، الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) منذ إتمام الفتح: وحتى منتصف القرن الخامس هجري (450/90هـ)، المملكة العربية السعودية وزارة التعليم العالي جامعة أم القرى، مركز البحوث الدراسات الإسلامية مكة المكرمة، 1421 هـ/ 2000م.

– شقدان بسام كامل عبد الرزاق، تلمسان في العهد الزياني (633–962 /1235– 1555هـ)، أبو رميلة هشام، رسالة الماجستير، قسم التاريخ، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 1422هـ – 2002م.

– قموح فريد، الدرر المكنونة في نوازل مازونة لأبي زكريا يحي بن موسى بن عيسى المازوني (ت883هـ) دراسة وتحقق لمسائل الجهاد والأيمان والنذور، مذكرة ماجستير في تاريخ الوسيط تخصص علم المخطوط العربي، قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، 2010/ 2011م.

– كربوع مسعود، نوازل النقود والمكاييل والموازين في كتاب المعيار للونشريسي جمعا ودراسة وتحليل، مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2012 – 2013.

– كرطالي أمين، الفقهاء والحياة السياسية في المغرب الأوسط خلال القرنين (09 – 10هـ/15– 16م)، مذكرة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، محمد بوركبة، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، الجزائر، 2013/ 2014م.

– نبيل شريخي، دور علماء تلمسان في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في المغرب الإسلامي خلال القرنين الثامن والتاسع هجري (14– 15هـ)، رسالة ماجستير في تاريخ المشرق

والمغرب في العصر الإسلامي، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، الجزائر، 2009 – 2010م، ص ص26 – 27.

– نميش سمية، دور أهل الذمة بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني من القرنين (07 – 10ه / 13– 16م)، عبدلي لخضر، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبوا بكر بالقايد تلمسان، الجزائر، 2013 – 2014م.

– نورالدين غرداوي، كتاب الجامع للقاضي أبي زكريا يحيى بن موسى بن عيسى المغيلي المازوني "المتوفي سنة (833ه/ 1478م)" (الجزء الرابع من ديوان الدرر المكنونة في نوازل مازونة) دراسة وتحقيق، عبد العزيز محمد لعرج، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، ج01، 2010 – 2011م.

المراجع باللغة الأجنبية

– Mercier. E, Histoire de l'Afrique septentrionale (Berberie) depuis les temps les plus reculés jusqu'à la conquête française, Edition Ernest Leroux, Paris, 1888, t 2.

الدوريات والمجالات والمقالات

– إبراهيم أحمد سعيد، إسهامات المقدسي في الجغرافيا والدراسات الإقليمية، مجلة دراسات التاريخية، العدد 117– 118، كانون الثاني، حزيران، 2012م.

– بالعربي خالد، المجاعات والأوبئة في تلمسان في العهد الزياني (69 – 845ه/1299 – 1442م)، قسم التاريخ، كلية الآدب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، دورية كان التاريخية إلكترونية محكمة ربع سنوية – العدد الرابع – يونيو 2009م.

– الزيادي حسين عليوي ناصر، تطور الفكر الجغرافي في الحضارات القديمة، مجلة أوروك، جامعة ذي القادر، مجلد 07، ع01، 2014م.

– نور الدين غرداوي، كتب الفتاوى مصدراً لكتابة التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمغرب الأوسط نوازل المازوني نموذجاً، مجلة الدراسات التاريخية، مجلد 09، العدد 01، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، 2008م.

الملاحق

الملحق < 01 >

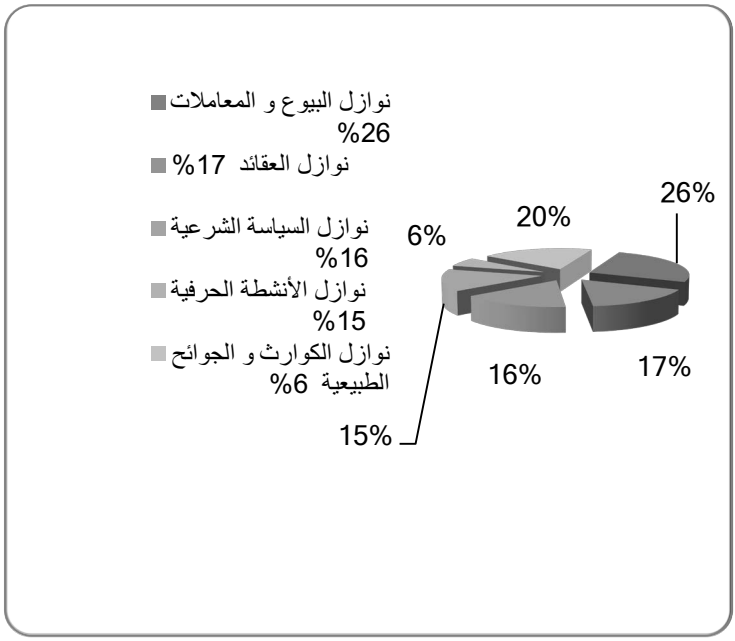

مقاربة إحصائية لمقارنة نوازل الجوائح بباقي النوازل من كتاب المعيار

الملحق < 02 >

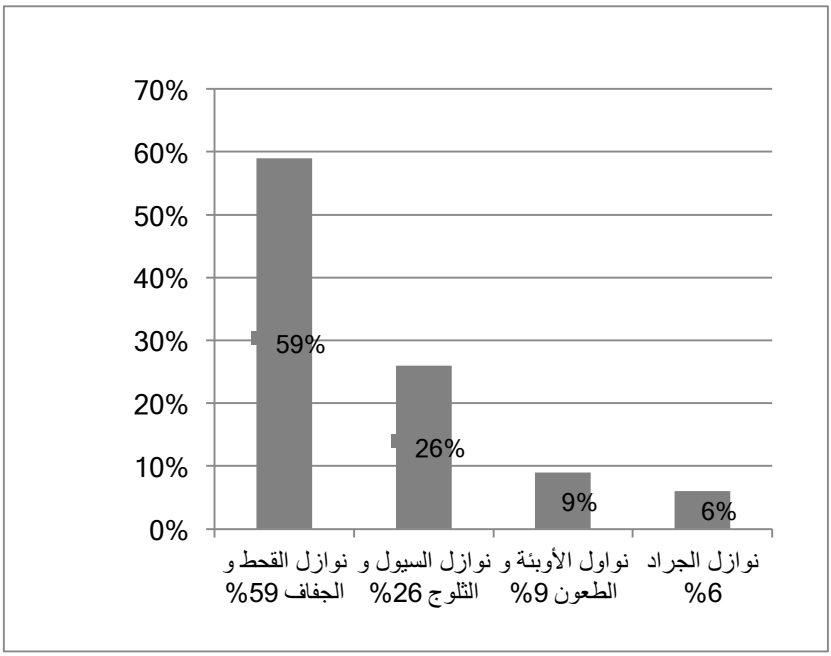

مقاربة إحصائية لأنماط النوازل في مصادر الفقه و كتب النوازل

الملحق < 03 >

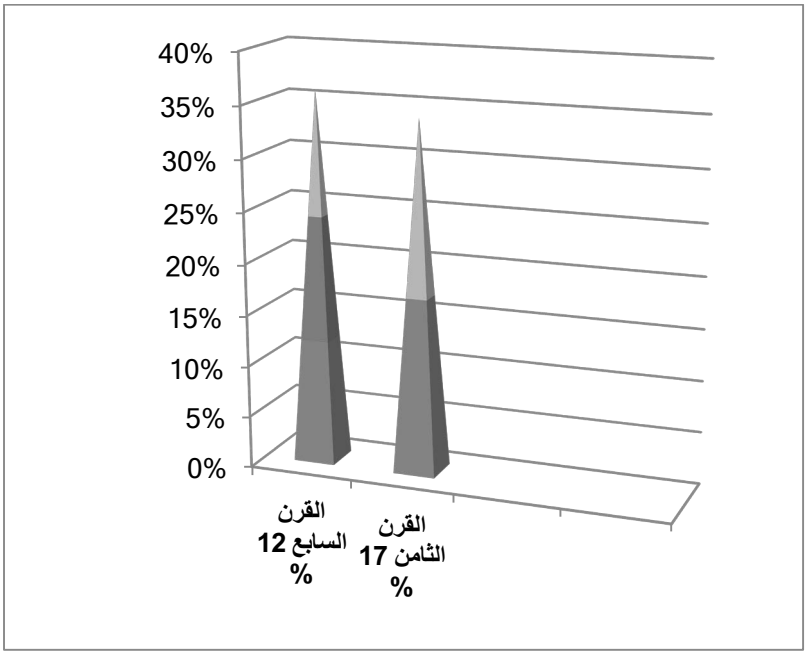

نسبة حدوث الكوارث الطبيعية والأوبئة في القرنين 7-8 ه/13-14م

الملحق < 04 >

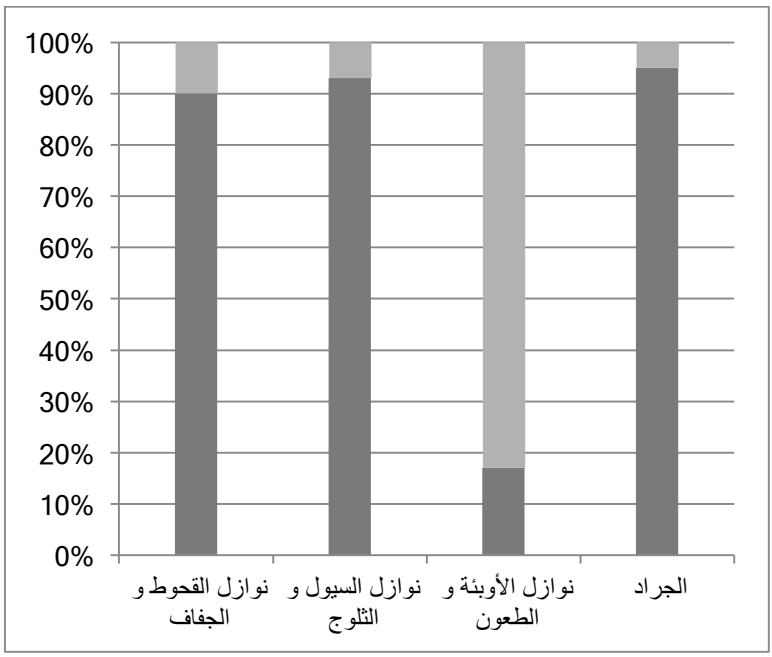

مقاربة إحصائية لانتشار الكوارث الطبيعية والأوبئة ما بين الأرياف والمدن

الملحق < 5 >[1]

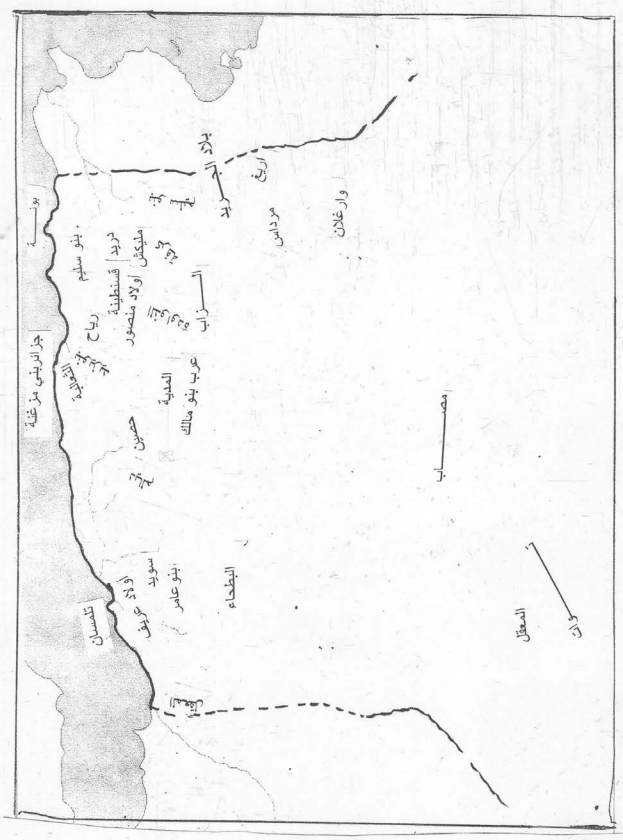

خريطة توزيع القبائل العربية في المغرب الأوسط القرنين 7 و 8 هـ

[1] يزير بشير، المرجع السابق،ص 336 .

الملحق < 6 >[1]

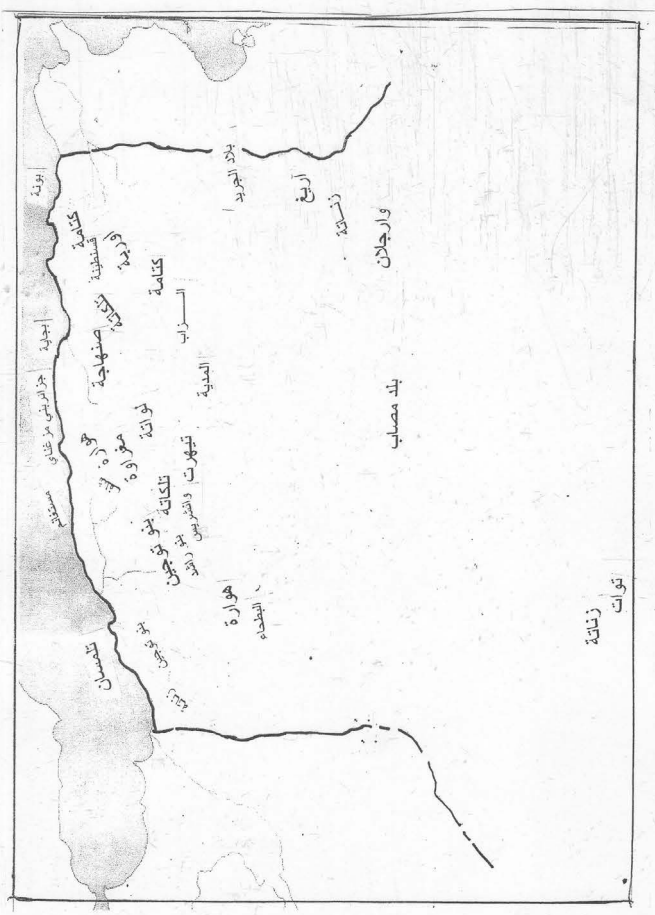

خريطة توزيع قبائل البربر في المغرب الأوسط القرنين 7 و 8 هـ

[1] يزير بشير، المرجع السابق،ص 337 .

الملحق < 7 >[1]

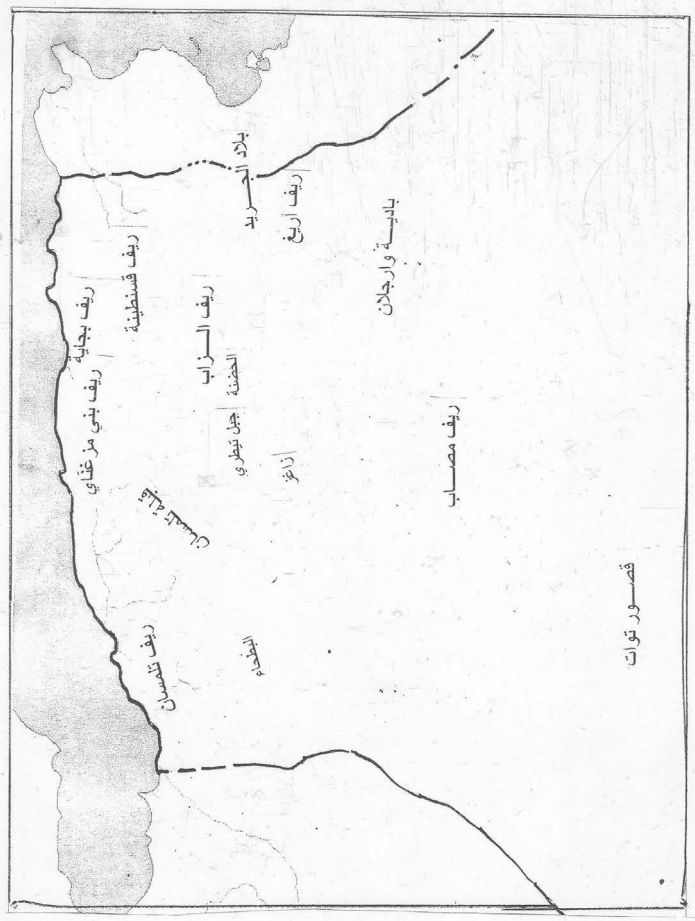

خريطة أقاليم الريف الكبرى للمغرب الأوسط القرنين 7 و 8 هـ

[1] يزير بشير، المرجع السابق،ص 338 .

الفهرس

تصدير.....7

المقدمة.....9

1. بلاد المغرب الأوسط «الموقع، المجتمع، الدولة..... 15

1.1 المعنى اللغوي لبلاد المغرب الإسلامي..... 16

1.1.1 لغةً..... 16

2.1.1 اصطلاحاً..... 18

2.1 الإطار الجغرافي لبلاد المغرب الإسلامي..... 21

1.2.1 الإطار الجغرافي..... 22

3.1 الإطار التاريخي لبلاد المغرب الإسلامي..... 27

1.3.1 الإطار التاريخي..... 27

4.1 الإطار الجغرافي للمغرب الأوسط خلال القرنين(7-8 هـ/31-41)..... 32

1.4.1 الإطار الجغرافي..... 32

5.1 الإطار التاريخي للمغرب الأوسط خلال القرنين(7-8 هـ/31-41)..... 38

1.5.1 الإطار التاريخي..... 38

6.1 المجتمع لسكان المغرب الأوسط..... 44

1.6.1 التركيبة البشرية للمغرب الأوسط..... 44

2. الأوضاع الحضارية للمغرب الأوسط خلال القرنين(7-8 هـ/31-41)..... 49

1.2 الأوضاع الاجتماعية والدينية..... 49

1.1.2 الأوضاع الاجتماعية..... 50

2.1.2 الأوضاع الدينية..... 56

2.2 الأوضاع الفكرية والثقافية..... 57

1.2.2 الأوضاع الفكرية والثقافية 57
3.2 الأوضاع السياسية والعسكرية..... 68
1.3.2 الوضع السياسي والعسكري..... 68
4.2 الأوضاع الاقتصادية 70
1.4.2 الأوضاع الزراعية 70
2.4.2 أوضاع الصناعة والحرف 72
3.4.2 الأوضاع التجارية..... 73
3. المدونات الفقهية والنوازلية دراسة في المضمون والمصطلح..... 77
1.3 تعريف الفقه والنوازل والفتاوى والأجوبة ومسائل الأحكام أو المسائل..... 77
1.1.3 التعريف بالفقه..... 77
2.1.3 التعريف بالنوازل..... 78
أ. النوازل لغةً 79
ب. الاصطلاح..... 80
3.1.3 التعريف بالفتاوى..... 82
أ. تعريف الفتاوى لغة 83
ب. تعريف الفتاوى اصطلاحا 85
4.1.3 الجوابات والأجوبة 86
5.1.3 مسائل الأحكام والأسئلة 88
2.3 خصائص ومميزات كتب النوازل الفقهية
لدى علماء وفقهاء المغرب الأوسط 90
1.2.3 خصائص كتب النوازل الفقهية بالمغرب الأوسط 90
أ. الواقعية 91
ب. التعامل مع النوازل وإسقاطها على أرض الواقع 91
ج. المحلية (المكان والزمان)..... 91
2.2.3 مميزات مؤلفات النوازل عند فقهاء بلاد المغرب الأوسط..... 91

أ. تبدأ النازلة بطرح السؤال المراد الإجابة عنه.....92
ب. الإجابة على النازلة بدون اختصار.....92
ج. استعمال اللهجات المحلية.....92
د. الاختصار عند الفقهاء في الجواب.....93
هـ. مكاتبة المذهب من طرف الفقهاء في بلدان أخرى.....93
3.3 كتب النوازل وأهميتها في الكتابة التاريخية.....93
1.3.3 كتب النوازل وقيمتها الاجتماعية.....94
2.3.3 كتب النوازل وقيمتها الاقتصادية.....96
3.3.3 كتب النوازل وقيمتها الفكرية والثقافية.....100
4.3.3 كتب النوازل وقيمتها السياسية.....104
5.3.3 كتب النوازل وقيمتها العسكرية.....105
الخاتمة.....107
قائمة المصادر و المراجع.....111
الملاحق.....119

أنجز طبعه في مارس 2025
على مطابع عمار قرفي - باتنة - الجزائر